ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

معارك معان وجوارها في الثورة العربية الكبرى ١٩١٧ – ١٩١٨م

أ. د. سطام زهير الخطيب
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية معان الجامعية -جامعة البلقاء التطبيقية
المملكة الأردنية الهاشمية

د. محمد عطا الله الخليفات
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية معان الجامعية -جامعة البلقاء التطبيقية
المملكة الأردنية الهاشمية

مُلَخّصْ

تعالج هذه الدراسة مسرح العمليات العسكرية التي شهدتها مدينة معان والمناطق المجاورة لها ضمن إطار الثورة العربية الكبرى، وذلك للأثر الكبير الذي أحدثته تلك العمليات من معارك وهجمات وغارات في مجريات الثورة ونتائجها، ليس على صعيد الأرض الأردنية فحسب، وإنما في سائر عمليات الثورة. وتتبعت الدراسة بالبحث والتحليل معارك معان جميعها، والتي يمكن تصنيفها إلى ثلاث مستويات: معارك تحرير جوار معان (أبو اللسن، المريغة، أوهيدة، دلاغة، وادي موسى، الشوبك)، ومحطات سكة الحديد (غدير الحاج، فصوعة، المدورة، الجردونة، عنيزة) ومعان القصبة، وذلك وفقًا للتسلسل الزمني والمكاني للمعارك، مع عرض للأهداف التي سعت لتحقيقها ومجرياتها ونتائجها. وانتهت الدراسة إلى الوصول لعدد من النتائج منها: أن معارك معان وجوارها كانت الأهم والأطول في مجريات الثورة على الأرض الأردنية لأهمية موقع معان الاستراتيجي كحلقة وصل بين القوات التركية في دمشق والمدينة المنورة، وأن معان القصبة شكلت الحلقة الأصعب في معارك معان لتحصيناتها القوية وانضمام الأهالي للأتراك في مقاومة الجيش العربي.

بيانات الدراسة:
تاريخ استلام البحث: ٢٥ يناير ٢٠١٧
تاريخ قبـول النشـر: ١٣ مايو ٢٠١٧

كلمات مفتاحية:
تاريخ الأردن الحديث، معارك، الثورة العربية الكبرى، معان، الجيش العربي

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0054801

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
سطام زهير الخطيب، محمد عطا الله الخليفات، "معارك معان وجوارها في الثورة العربية الكبرى ١٩١٧ – ١٩١٨م"- دورية كان التاريخية- السنة الحادية عشرة- العدد الثاني والأربعون: ديسمبر ٢٠١٨. ص٨٨ – ١٠٥.

مُقَدِّمَةُ

لا شك أن رصاصة الشريف الحسين بن علي في سماء مكة يوم السبت (٩ شعبان ١٣٣٤هـ/ ١٠ حزيران ١٩١٦م)، لم تكن مجرد رصاصة أطلقت في الهواء، وإنما كانت صرخة مدوية هدفها تحرير الأقطار العربية الآسيوية من التبعية للدولة العثمانية، وحفظ الدين الإسلامي، وتمكين العرب من بناء الدولة العربية الكبرى التي فقدوها منذ زهاء أربعة قرون، ويتجلى ذلك من خلال قول الشريف الحسين بن علي "نحن نحارب من أجل غايتين شريفتين حفظ الدين وحرية العرب عامة".[١] وتطلع الشريف الحسين إلى أن تبدأ الثورة في مكة ودمشق بآن واحد، مع نزول قوات الحلفاء (بريطانيا وفرنسا) من جهة البحر المتوسط، ليتم بذلك حصر الأتراك بين فكي كماشة، غير أن الظروف حالت دون ذلك فقد امتنع الحلفاء عن إنزال قواتهم في بلاد الشام، وأدت سياسة البطش والإرهاب التي انتهجها حاكم سوريا أحمد جمال باشا (١٩١٤-١٩١٦م) من تعذر نشوب الثورة فيها[٢]، لكن ذلك لم يهن من عزيمة الشريف الحسين فأعلن ثورته من مكة إيذانًا بنهاية الليل الطويل، لتبدأ بذلك أحداث الثورة العربية الكبرى، والتي تعتبر بحق نقطة تحول وانعطاف في تاريخ العرب الحديث، نتج عن قيامها بعث الثقة والأمل في نفوس العرب جميعًا.

وتألفت القوات العربية التي حملت لواء الثورة من ثلاثة جيوش أوكلت مهمة قيادتها إلى أبناء الشريف الحسين، وهي: الجيش الجنوبي بقيادة الأمير علي، والجيش الشرقي بقيادة الأمير عبدالله، والجيش الشمالي بقيادة الأمير فيصل، وتنفيذًا للتعليمات العليا بأن ينتشر ضغط العرب على الأتراك على طول الخط الحديدي، جاء تقدم جيش الأمير فيصل نحو الشمال فاستولى على مدينة الوجه في ٢٤ كانون الثاني ١٩١٧م، ثم احتل العقبة في ٦ تموز ١٩١٧م، ومنها أخذ يضيق على معان[٣]. ولما كانت الأراضي الأردنية المفتاح لبلوغ قوات الثورة إلى دمشق، فقد شهد مسرح العمليات الأردني العديد من المعارك مع الأتراك طوال ستة عشر شهرًا – ابتداءً من حزيران ١٩١٧م وحتى نهاية أيلول ١٩١٨م – سطر خلالها أبناء شرقي الأردن أروع صور البسالة والإقدام، وقدموا فيها تضحيات جسيمة، ويمكن تفسير انضواء الكثيرين من أبناء الأردن تحت راية الشريف الحسين، ومسارعتهم للالتحاق في ركب ثورته العربية، للعديد من العوامل، أهمها:

١. شعور الأهالي في المنطقة بوطأة الأتراك الذين أثقلوا كاهل السكان بالضرائب.
٢. فرض الحكومة العثمانية قانون الخدمة العسكرية الإجباري على أهالي شرقي الأردن.
٣. تعامل الحكومة العثمانية بقسوة ووحشية شديدتين مع تمرد الشوبك عام ١٩٠٥م، وتمرد الكرك ١٩١٠م، الأمر الذي أثر في نفوس الأهالي ودفعهم للانضواء تحت لواء الثورة[٤].
٤. الحاق الأتراك أضرارًا كبيرة بالثروة الحرجية في الأردن والتي استعملوها وقودًا لقاطرات سكة الحديد، فقد أنشأت الحكومة التركية عام ١٩١٤م، خطًا فرعيًا لسكة الحديد من محطة عنيزة[٥] إلى الشوبك ليسهل نقل الحطب من غابة الهيشة[٦] بعربات القطار، ولم تكتف بذلك بل فرضت السخرة على الأهالي لقطع الأشجار ونقلها[٧].

ومع أن العمليات العسكرية التي نفذتها جيوش الثورة على المسرح الأردني، شملت كافة الأراضي الأردنية تقريبًا، إلى أن ما شهدته معان وجوارها من معارك شكل الحلقة الأطول والأهم في مجرى تلك المعارك، وذلك لعدة أسباب:

١. تمسك الأتراك بمعان نظرًا لموقعها الاستراتيجي كحلقة وصل ما بين القوات التركية في المدينة المنورة ودمشق.
٢. اتساع رقعة العمليات العسكرية ضمن محور معان، والتي امتدت من رأس النقب جنوبًا وحتى عنيزة شمالاً، ومن المدورة شرقًا حتى خط دلاغة[٨] – وادي موسى – الشوبك غربًا.
٣. انتشار القلاع ومحطات سكة الحديد داخل معان وحولها، الأمر الذي منح الأتراك أفضلية من حيث التحصين والتموين.
٤. تضارب موقف أهالي منطقة معان من الثورة، ففي الوقت الذي لبت فيه قبائل محيط معان من الحويطات[٩] والنعيمات[١٠] واللياثنة[١١] والشوابكة[١٢] نداء الثورة، وقف أهالي مدينة معان (القصبة) موقفًا مناهضًا للثورة ومؤيدًا للأتراك، الأمر الذي أطال صمود مدينة معان بشكل مغاير تمامًا لحال المدن الأردنية الأخرى.

من هنا جاء اختيار محور معارك معان في الثورة العربية الكبرى موضوعًا للبحث، وذلك لعدم أفراد دراسة متخصصة تتناول الموضوع على حد علم الباحث، ثم إن الدراسات التي عالجت موضوع الثورة العربية الكبرى – وهي كثيرة – عرضت لمعارك معان إما بشكل مختصر، أو ضمن عرض شامل لمجريات الثورة العربية دون أفراد دراسة مستقلة بمعارك معان، وهي على الرغم من أهميتها وقيمتها العلمية للقارئ والباحث، إلا أنها لا توفر مادة متسلسلة مترابطة لأحداث وجزيئات الموضوع. وفيما يلي عرض شامل لكافة المعارك التي شهدتها معان والمناطق المجاورة لها، وفقًا للتسلسل الزمني والمكاني لوقوع المعارك ومجرياتها منذ انطلاق الثورة وحتى انسحاب القوات التركية منها.

أولاً: معارك معان الأولى

١/١- معركة غدير الحاج[١٣] وأبو اللسن[١٤]

بعد أن استولى الجيش الشمالي بقيادة الأمير فيصل على مدينة الوجه في كانون ثاني ١٩١٧م، أخذ الأمير فيصل يكاتب زعماء قبائل الشمال التي تقطن في أطراف بلاد الشام (الحويطات والرولة وبني صخر[١٥]) يحثهم على القيام في وجه الأتراك، وقد استجاب بعضهم لندائه، ووفدوا على مقره في الوجه، وكان أبرز هؤلاء الوافدين عوده أبو تايه[١٦] شيخ حويطات التوايهه الذين كانوا يسكنون حوالي معان،

وقد فرح الأمير فيصل بقدومه كثيرًا، ويصور لنا لورنس[١٧] حمية اللقاء الأول بين فيصل وعوده بقوله: "دخل علينا خادم الأمير وهمس في أذنه ببضع كلمات فشاهدت وجهه يتألق أثرها فرحًا وسرورًا، وبادرني قائلاً: لقد حضر عوده.. فصحت مغتبطًا وسائلاً: حضر عوده ؟؟!!"[١٨].

ونظرًا لما لمسه الأمير فيصل من لهفة شديدة من قبل عوده أبو تايه بتوسيع عمليات الثورة نحو الشمال، قرر إرسال حملة صغيرة برئاسة الشريف ناصر بن علي[١٩] وعوده أبو تايه، ورافق هذه الحملة اثنان من الزعماء السوريين المعروفين وهم: نسيب البكري (وهو مدني من عائلة مرموقة وعضو جمعية الفتاة)، والثاني القائد زكي الدروبي (ضابط سابق في الجيش العثماني)، ورافق الحملة أيضًا لورنس باعتباره خبيرًا في زرع المتفجرات[٢٠]، وأوكل الأمير فيصل للحملة مهام عديدة أهمها: نزع الضغائن بين قبائل الشام حضر وبدو ودعوتهم للانضمام إلى الثورة، وإزعاج الترك من خلال القيام بمناوشات استطلاعية على الجسور والمحطات، فضلاً عن الدعاية للثورة وجمع المتطوعين[٢١].

وفي يوم ٩ أيار غادر رجال الحملة ومعهم بعض البنادق لتوزيعها هدايا على شيوخ القبائل لاستمالتهم، و٢٠ ألف ليره ذهبية لكي ينفق منها على ما يستجد من عمليات، ويسير برفقتهم ٣٥ فردًا من متطوعي البدو كحرس[٢٢]، واتجهت الحملة شمالاً ثم انحرفت شرقًا تقطع الصحراء حتى وصلت وادي السرحان بعد مسير عشرين يومًا، فاتصل الشريف ناصر وعوده بقبائل تلك الأنحاء وتمكنا خلال أسبوعين من تجنيد ما يقرب من ٥٠٠ متطوع من قبائل الرولة والحويطات على رأسهم شيخ قبيلة الرولة نوري الشعلان[٢٣]، بينما ذهب نسيب البكري إلى جبل الدروز لكسب تأييدهم للثورة، أما لورنس فيقال أنه بلغ دمشق والتقى بالقائد رضا الركابي[٢٤] وطلب منه تشجيع العرب للقيام في وجه الأتراك.

وفي يوم ١٨ حزيران عاد لورنس إلى وادي السرحان ليجتمع بالشريف ناصر وعوده أبو تايه، وفي اليوم التالي انطلقت الحملة كلها والتي أصبحت أكثر من ٥٠٠ مقاتل بالزحف نحو الجفر[٢٥] فبلغتها يوم ٢٨ حزيران، وهناك تقرر أن يسير بعض رجال الحملة لمضارب عشيرة الدمانية[٢٦]، كي يتعاونوا معهم للإغارة على مخفر "الفويلة" الواقع بين أبو اللسن ورأس النقب، ويبدو أن رجال الدمانية أرادوا أن يسجلوا لأنفسهم البطولة، فقاموا بالإغارة يوم ٣٠ حزيران على المخفر قبل وصول رجال الحملة، مما مكن الأتراك من صدهم، وعندئذ انسحب مقاتلي الدمانية إلى الجبال المجاورة، فقام الجنود الأتراك بمهاجمة مضارب العشيرة وقتلوا رجل عجوز وست نساء وسبعة أطفال، فما أن وصل خبر هذه المذبحة لرجال الدمانية حتى استشاطوا غضبًا فانقضوا على الأتراك المهاجمين وفتكوا بهم جميعًا.[٢٧] وبمجرد وصول أنباء أحداث الفويلة والدمانية للحملة الرئيسية، حتى شدت مطاياها بقيادة عوده أبو تايه باتجاه محطة "غدير الحاج"، فوصلتها بعد ظهر يوم ١ تموز، وعلى الفور قام رجال الحملة بنسف الخط الحديدي مع الجسور القائمة هناك، ثم خاضت الحملة اشتباكًا سريعًا مع حامية المحطة، اجبروا خلالها الجنود الأتراك على الهرب من ساحة القتال بعد أن كبدوهم بعض القتلى[٢٨].

وهكذا كانت معركة "غدير الحاج" أول معارك الثورة على الأرض الأردنية عامة، ومعان خاصة، حققت خلالها قوات الثورة نصرًا سريعًا، مما جعلها فاتحة الطريق لمزيد من النصر والتقدم، وهذا ما كان في اليوم التالي، إذ ما أن وصلت لقوات الثورة أنباء وصول كتيبة تركية قادمة من معان لتعزيز حامية أبو اللسن، حتى تحرك عوده أبو تايه ورجال حملته يغذون السير غربًا تجاه جبال الشراة المطلة على عين أبو اللسن حيث معسكر الأتراك، وهناك اجتمعوا برجال قبيلة الدمانية بزعامة شيخهم قاسم أبو دميك والذين كانوا ينتظرون وصولهم على أدر من الجمر، وعلى الفور قاموا بإعادة ترتيب أنفسهم وتوزيع المهام فيما بينهم، هذا في الوقت الذي قامت فيه بعض قوات الخيالة بقطع خطوط الهاتف والتلغراف الموصلة إلى معان، وفي الصباح الباكر من يوم ٢ تموز ١٩١٧م، بادرت قوات الثورة بالهجوم على الحامية التركية، فرد الترك على الهجوم بالمدافع الجبلية[٢٩].

واستمر تبادل النار بين الطرفين إلى ما بعد ظهر ذلك اليوم، ويبدو أن عوده أبو تايه قد أدرك في تلك اللحظات خطورة بقاء الأتراك في مواقعهم لأن ذلك من شأنه قطع الطريق على الحملة مع العقبة وإحباط جميع نجاحاتها، مما دفعه ذلك إلى الصعود لتل مرتفع فنادى رجاله حتى تجمعوا حوله، ثم صرخ فيهم بصوته الجهوري لتحريك النخوة في نفوسهم، فانطلقوا على الفور كالسيل الجارف في هجوم مزدوج على مواقع الأتراك، حيث قام الخيالة يتقدمهم عوده بنفسه بالهجوم من ناحية، في حين قامت الهجانة وعددهم ٤٠٠ وكان لورنس فيهم بالهجوم من الجهة المقابلة، وسرعان ما أسفرت المعركة عن هزيمة الأتراك بعد أن سقط منهم زهاء ٣٠٠ قتيل ونحو ١٦٠ أسير.[٣٠]

وهكذا انتهت المعركة الثانية على الأرض الأردنية بنصر مؤزر، مما كان لذلك بعيد الأثر في تعزيز الثقة بنفوس العرب، وخاصة رجال بادية معان، إذ لم تعد مواجهة القوات النظامية جيدة التسليح يخيفهم، ولعل الفضل في ذلك يعود إلى جسارة عوده أبو تايه الذي قاد المعركة وخرج منها سليمًا دون أذى رغم أن فرسه قتلت وأن ست رصاصات اخترقت ثيابه في عدة مواضع.[٣١] ويبدو أن الشريف ناصر وعوده أبو تايه لم يرغبوا في تفويت فرصة استغلال انتصار أبو اللسن، فأرسلوا بعض قواتهم تجاه المريغة[٣٢] فاستولوا عليها، ثم استولوا على قرية أوهيدة[٣٣]، وبمجرد أن بلغت هذه الأنباء معان أصيب الأتراك باضطراب كبير، وسارعوا إلى طلب النجدات العسكرية استعدادًا لمجابهة هذا الخطر الذي بات يهددهم، أما عن الحملة الرئيسية فقد سارت تحث الخطى جنوبًا نحو العقبة عن طريق رأس النقب[٣٤]، بعد أن تكللت جميع عملياتها بالنجاح.

٢/١-معارك تحرير دلاغة ووادي موسى والشوبك

فور اكتمال تحرير العقبة في تموز ١٩١٧م، باشر الفريق جعفر العسكري الذي تولى قيادة الجيش النظامي الشمالي، بإعادة تنظيم القوات العربية التي كانت تتألف من قوتين نظامية وغير نظامية، وقد استطاع العسكري بحلول شهر آب أن يصل بجيش الشمال إلى فرقتين تضم كل منها لوائين بالإضافة إلى لواء المدفعية، وقوات العشائر، هذا إلى جانب البعثات الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية)[٣٥]. وتمت التشكيلات للفرقتين العسكريتين على النحو التالي:

الفرقة الأولى: قائدها العقيد حسن وفقي الدمشقي، وتألفت من لوائين: الأول لواء العقبة بقيادة الرئيس تحسين علي، والثاني لواء القويرة بقيادة الرئيس عبد اللطيف نوري الحلبي.

الفرقة الثانية: قائدها الزعيم قاسم راجي، وتألفت من لوائين: الأول لواء القويرة بقيادة المقدم خالد السليماني، والثاني اللواء الهاشمي (على أن يكون مقره وادي موسى) بقيادة مولود مخلص[٣٦]، كما الحق بهذه الفرقة لواء المدفعية بقيادة الرئيس جميل المدفعي.[٣٧]

وبعد أن أكمل جعفر العسكري تنظيم القوات، قرر في آب ١٩١٧م، تحرير كل من القويرة ووادي موسى، وأسند مهمة تحرير القويرة للواء الثاني من الفرقة الأولى، في حين كلف اللواء الهاشمي من الفرقة الثانية تحرير وادي موسى. وما يهمنا هنا تحرير وادي موسى، حيث نهض مولود مخلص في الحال لتنفيذ مهمته، فسار في نهاية آب بكتيبة مؤلفة من الهجانة والبغالة سالكًا طريق وادي عربة، وذلك أن الأتراك كانوا قد استعادوا السيطرة على طريق رأس النقب أبو اللسن، فاستولى أولاً على بلدة دلاغة التي كانت القوات التركية قد احتلتها بعد استيلاء القوات العربية على العقبة، وتم ذلك دون أية مقاومة تذكر، لأن الحامية التركية الصغيرة التي كانت في القرية انسحبت قبل وصول القوات العربية، ثم أن أهالي دلاغة كانوا قد انحازوا لقوات الثورة.[٣٨]

ولم يكن أمام مولود مخلص أمام هذا النصر السريع الذي تحقق في دلاغة إلا أن تقدم تجاه وادي موسى، بعد أن أبقى حامية عربية في دلاغة بقيادة الضابط السوري راسم سردست، واستطاع مولود من الوصول إلى آثار البتراء القديمة دون قتال واتخذ منها مركزًا له، وما أن رأت قبائل اللياثنة بزعامة الشيخ خليل الحسنات وصول طلائع قوات الثورة إلى بلدتهم حتى تشجعت هي الأخرى للقيام في وجه الأتراك، فبدأت بالإغارة على صفوف الأتراك الذين كانوا يتنقلون بين هضاب وادي موسى، وقد نجحوا في الاستيلاء على الكثير من المواشي والدواب بعد قتل حراسها، واستمرت الغارات على هذا النحو لعدة أسابيع، وهذا ما جعل الأتراك في تلك النواحي يفقدون اتزانهم وصوابهم[٣٩]، ويذكر لورنس أنه تم الاتفاق مع سلاح الجو الإنجليزي لتكثيف الغارات على معان وأبو اللسن تزامنًا مع الهجوم العربي على وادي موسى وذلك لإشغال الأتراك عما يجري في الوادي، فالقت الطائرات الإنجليزية خلال يومين ٢٣ قنبلة على معان، و٧٤ قنبلة على الفويلة وأبو اللسن[٤٠]. ولم يكن للأتراك من سبيل أمام توالي هجمات القوات العربية وغارات البدو واللياثنة، إلا أن بادرت بالانسحاب تجاه بسطة[٤١] والهيشة، وبذلك تم لمولود مخلص وبكل كفاءة واقتدار، تحرير وادي موسى في منتصف أيلول، لتصبح وادي موسى منذ هذا التاريخ مركزًا للواء الهاشمي[٤٢]، ومنطلقًا للعمليات المقبلة تجاه الشوبك.

وما أن انتهى مولود مخلص من إعادة ترتيب صفوف قواته في وادي موسى حتى قام في نهاية شهر أيلول ١٩١٧م، بتجريد حملة مؤلفة من ١٣٠ جنديًا نظاميًا، إلى جانب ٢٠٠ متطوع من قبائل المنطقة[٤٣]، وشنت الحملة هجومها الأول على سكة الحديد الفرعي بين محطة عنيزة والهيشة (غابة الشوبك)، التي كان الأتراك ينقلون منها الحطب كي يستعملوه وقودًا للقطارات، فنزعوا جانبًا من خط السكة، ثم احتلت القوة بلدة الشوبك (نجل)، واستسلمت حاميتها الصغيرة، ثم كرت القوات العربية راجعة وهاجمت السرية

التركية المرابطة في غابة الهيشة وأسرت ٢٠ من رجالها، لكن يبدو أن صعوبة المنطقة حالت دون تمكنهم من التغلب عليها كليًا، وعندما وجد مولود مخلص أنه لا جدوى من القتال في غابة لا يعرف مسالكها قرر الانسحاب إلى وادي موسى[٤٤].

وتشير إحدى الروايات إلى أنه عندما وصل خبر احتلال القوات العربية إلى الشوبك وغابة الهيشة أصيبت القيادات التركية في أضنة بالهلع، وذلك لأن الأتراك في أمس الحاجة للحصول على الحطب، فصدرت الأوامر إلى محمد جمال باشا قائد الفيلق الثامن التركي الذي كان يتخذ من معان مركزًا له، بأن يحرر الهيشة مهما كلفه ذلك، فهاجمها جمال باشا بجميع قواته، وبمساندة ثلاث طائرات، فتمكن من إجلاء العرب عنها[٤٥]، لتفشل بذلك المحاولة الأولى لتحرير الشوبك.

٣/١- معركة وادي موسى الثانية

أثار استيلاء الجيش العربي على وادي موسى حفيظة محمد جمال باشا قائد الجيش التركي في معان، فقرر استردادها لأهميتها العسكرية، وجهز لهذه الغاية حملة مكونة من ثلاث كتائب مشاة، وكتيبة خيالة من الشراكسة المتطوعين بقيادة ميرزا باشا[٤٦]، وسرية بغالة وبعض المدافع والطائرات[٤٧]، أما القوات العربية المرابطة في وادي موسى بقيادة مولود مخلص فكان قوامها ٣٥٠ جنديًا نظاميًا بين هجانة وبغالة، ومدفعين جبليين وأربعة مدافع رشاشة و٢٥٠ متطوعًا من قبائل اللياثنة والبدو سكان وادي موسى والطيبة والراجف[٤٨] ودلاغة[٤٩].

أما عن تاريخ المعركة، فعلى الرغم من إجماع مختلف الروايات التاريخية التي تحدثت عن المعركة، على أنها جرت في تشرين أول ١٩١٧م، إلا أنه يلاحظ أن هناك اضطراب فيما بينها في تحديد يوم المعركة وكم استغرقت من الوقت على وجه التحديد، فهناك من اكتفى بالقول أنها جرت في تشرين أول[٥٠]، وهناك من يجعلها يوم ٢١ منه[٥١]، والبعض يورد أنها حدثت خلال يومي ٢٢-٢٣[٥٢]، ويروي الماضي أنها حدثت يوم ٢٧[٥٣]، وينفرد الزبيدي بجعلها يوم ٣١[٥٤]، أما نوري السعيد – رئيس أركان حرب الجيش الشمالي - فيكتفي في مذكراته بالقول أنها جرت في أواخر صيف ١٩١٧م[٥٥]، بينما لم يتطرق العجلوني - الذي كان في الشوبك لحظة بدء الهجوم التركي - لتاريخ المعركة كليًا، على الرغم من وصفه لبدء الهجوم، فنجده يقول "وفي الصباح.. رأينا الطائرات الألمانية تقصف معسكر مولود وتقتل الحيوانات، والناس في ذعر منها"[٥٦].

أما عن الوقت الذي استغرقته المعركة، فقد تراوحت حسب الروايات ما بين يوم وثلاثة أيام[٥٧]، لكن يتضح من خلال أحداث المعركة أنها استمرت يومًا واحدًا، ولكن على ثلاثة مراحل، ولعل هذا هو سبب الاضطراب في تحديد مدة المعركة عند البعض.

وأيًا كان تاريخ المعركة - الذي على ما يبدو هو أحد الأيام العشرة الأخيرة من تشرين الأول ١٩١٧م- فإن الذي يهمنا هنا هو مجريات ذلك اليوم، إذ تشير المعلومات إلى أن القوات العربية تجهزت لصد الهجوم التركي بأن أعدت كمينًا محكمًا لهذه الغاية يقوم على استدراج الأتراك حتى الممر الضيق (السيق) المؤدي إلى آثار البتراء ثم إحكام القبضة عليها، وذلك أنها اتخذت لها خطوط دفاع أمامية خارج البلدة إلى الشرق منها، فعندما وصلت القوات التركية قادمة من ثلاث جهات: بسطة ومعان والهيشة، بادرت القوات العربية منذ ساعات الفجر الأولى بمفاجئتها بإطلاق النار من أماكن جبلية كانت قد تحصنت فيها، وردت القوات التركية على نيران القوات العربية بان نصبت مدفعيتها الثقيلة وأخذت تدك مواقع اطلاق النار من الجبال المواجهة لها، واشترك في هذا الهجوم الطائرات التركية والألمانية، وكانت تحوم فوق العرب أثناء القتال وتلقي عليهم القذائف من ارتفاع ٣٠٠ متر فقط، واستمرت المدافع التركية بضرب مواقع العرب لمدة ساعتين، لكن دون جدوى إذ تمكنت قوات مولود ورجال اللياثنة من ردهم على أعقابهم بعد أن أصلوهم نيران حامية[٥٨].

على هذا الحال انتهت الجولة الأولى من المعركة، ثم عند الظهيرة استأنف الأتراك الهجوم، واستطاعوا أن يستولوا على التحصينات الخارجية، وهنا أمر مولود مخلص المتطوعين العرب بالتراجع إلى التلال الجنوبية داخل البلدة، بينما تمركز الجنود النظاميين في التلال الشمالية وشددوا إطلاق النار على الترك المتقدمين من الشرق[٥٩]. ثم افتتحت المدفعية التركية في الجولة الثالثة من الهجوم نيران حامية كانت تصبها صبًا على مراكز العرب حتى ظن الأتراك أنهم جعلوها رمادًا وأطلالاً، فأصدر محمد جمال باشا أوامره اثر ذلك بالهجوم المباشر، وكان ذلك قبل غروب الشمس بقليل، مما اضطر مولود مخلص للانسحاب بقواته إلى داخل الوادي (السيق) المؤدي للمدينة الأثرية[٦٠]، وهو يصيح بالمتطوعين من البدو واللياثنة: " إلى الجبل يا أبناء الصحراء "، فتحصنوا جميعًا داخل الوادي السيق[٦١].

وهنا ظن الأتراك أن الهزيمة قد حلت بقوات الجيش العربي، فتقدمت بعض وحداتهم في الوادي (السيق)، وعندئذ أطبقت عليهم القوات العربية من الجانبين ومن أعلى الصخور، وفي الوقت ذاته قامت بعض قوات اللياثنة بالتفاف حول ميسرتهم، ودار القتال بين الفريقين بالسلاح الأبيض (الحراب)، وهذا ما يدل على شدة المعركة، وبعدما أظهر الجانبين بسالة وبطولة في القتال، أدرك الأتراك أن لا أمل لهم في إحراز أي نصر، فاخذوا يتراجعون بسرعة نحو بسطة بعد أن تكبدوا خسائر فادحة قدرت بحوالي (٤٠٠) بين قتيل وجريح، و(٥٠٠) أسير، في حين بلغت الخسائر العربية نحو (٤٥) شخصًا[٦٢].

ويشير نوري السعيد في مذكراته إلى دور أهالي وادي موسى من اللياثنة في هذه المعركة بقوله: " لم يمض على انسحاب حامية وادي موسى في الظلام أكثر من ساعتين حتى لحق بهم بعض الخيالة من العرب من عشيرة اللياثنة، وأخبروا مولود مخلص بأن عشيرتهم بالاشتراك مع أهالي وادي موسى قد أجهزوا على القوات التركية وأبادوها"[٦٣]. أما جعفر العسكري والذي حسب رواية الدنجتون كان متواجدًا في وادي موسى يوم المعركة[٦٤]، فقد علق على دور اللياثنة وخاصة أهالي الطيبة بقوله: "ولا أنسى هنا.. الشجاعة الفائقة العظيمة التي أبداها اللياثنة ولا سيما أهالي طيبة، ففي الحقيقة كان أولئك اللياثنة الجبليون يلفتون نظر الإنسان بطول قامتهم، وقوة أبدانهم وشجاعتهم الفائقة".[٦٥]

وكان من نتائج هذا النصر الذي تحقق بفعل التعاون ما بين القوات العربية وأهالي وادي موسى، أن اضطر الأتراك إلى الانسحاب إلى منطقة بسطة بعد أن تعلموا درسًا قاسيًا في عدم مهاجمة أي موقع عربي حصين، وفي الوقت ذاته أثار هذا الانتصار فرحة الحلفاء، فأرسل قادة الجيش الإنجليزي ببرقيات التهنئة والتبريكات إلى الأمير فيصل[٦٦]. ومما يجدر ذكره هنا، أنه نظرًا لزوال خطر الأتراك عن وادي موسى بعد هذه المعركة، قامت قيادة الجيش العربي في منتصف تشرين الثاني ١٩١٧م، بنقل القوات النظامية التي يقودها مولود مخلص من وادي موسى إلى القويرة بعد أن حل محلهم قوات من المتطوعين من أبناء العشائر.

٤/١- معركة تحرير المريغة وأوهيدة

قاد فشل هجوم الأتراك على وادي موسى إلى وصول القادة الأتراك إلى قناعة مفادها أن الاستيلاء على القويرة هو السبيل الوحيد لوقف أي تقدم للقوات العربية نحو الشمال، ولتحقيق هذه الغاية أرسل الأتراك في تشرين ثاني ١٩١٧م حملة من معان تجاه القويرة، أما الجيش العربي فما أن وصلته تلك الأنباء حتى أعد على عجل حملة لمواجهة الترك تكونت من فوج مشاة وسرية رشاش ورعيل من الخيالة، وتولى قيادتها مولود مخلص الذي أصبح يتمتع بقدرات فائقة في قتال الأتراك، واصطدمت الحملتان في المريغة في أواخر تشرين ثاني، ونظرًا لما وجده الأتراك من بسالة قوية من الجيش العربي فقد اضطر للتراجع إلى عين أوهيدة ومنها إلى معان[٦٧].

وهكذا استطاعت القوات العربية بقيادة مولد مخلص من افشال مخططات الأتراك بالزحف نحو القويرة، كما أنها نجحت في انتزاع موقعين مهمين – المريغة وأوهيدة – من السيطرة التركية، وتمكنت من الاحتفاظ بهما على الرغم من الهجمات المعاكسة. وظل مولود مخلص طوال شتاء ١٩١٧-١٩١٨م، يضيق الخناق على معان من معسكره في أبو اللسن ويشن عليها الغارات الخاطفة، على الرغم من الظروف الصعبة التي عاناها من جراء تراكم الثلوج وشدة البرد[٦٨].

٥/١- معركة تحرير الشوبك الثانية

في يوم ٣ تشرين الثاني ١٩١٧م، وصل الأمير زيد بن الحسين على رأس قوة نظامية مؤلفة من ١٥٠٠ جندي إلى العقبة، ليتولى مسؤوليات قيادة الجيش الشمالي إلى جانب أخيه فيصل، ولم تلبث قيادة الجيش الشمالي حتى انتقلت خلال هذا الشهر من العقبة إلى القويرة، وعلى الرغم من صعوبة فصل الشتاء ١٩١٧-١٩١٨م، فقد أعد الأمير فيصل في أواخر كانون الأول حملة قوية أسند قيادتها إلى أخيه الأمير زيد، وتكونت الحملة من ثلاثة أرتال زحفت من القويرة باتجاه الشمال، وبينما كانت وجهة الرتلين الأول والثاني إلى الطفيلة وجرف الدراويش، تقرر أن يتولى قيادة الرتل الثالث الشريف عبد المعين، وأن تكون وجهته الشوبك[٦٩].

زحفت هذه الأرتال إلى أهدافها، وما يهمنا هنا هو الرتل الثالث، حيث تقدم الشريف عبد المعين تجاه رأس النقب ثم أبو اللسن ومنها سار إلى وادي موسى، وكانت أبو اللسن لحظت انطلاق الحملة لا تزال تحت سيطرة الأتراك، لكن مع تقدم الحملة انسحب منها الأتراك، وكان الأمير فيصل يتوقع أن يحدث الشيء نفسه حال تقدم القوات العربية تجاه الشوبك، ونلمس ذلك من خلال برقيته إلى أخيه زيد والمؤرخة في ٣ كانون الثاني ١٩١٨م، والتي جاء فيها " بشرتكم بالتلفون عن انسحاب الأتراك من أبا اللسن، والظاهر أن سيعقبها انسحابهم من الهيشة "[٧٠]. وفي يوم ١٣ كانون

الثاني ١٩١٨م، تقدم الشريف عبد المعين من وادي موسى تصحبه قوة من أهالي الوادي، تجاه غابة الهيشة، فما كاد يقترب منها حتى انسحب منها الأتراك مدبرين، فصح بذلك توقع الأمير فيصل، ويلخص لنا لورنس مجريات تحرير غابة الهيشة بقوله: " سار عرب البتراء تحت قيادة الشريف عبد المعين إلى غابات الشوبك.. في أرض كساها الجليد واشتد فيها الصقيع ومع هذا فسكان هذه الجبال الأشداء كانوا يواصلون.. ورآهم الأتراك يقتربون في بطء فلم يتجاسروا على الوقوف في طريقهم بل ولوا مدبرين"[٧١].

ومن الهيشة تحرك الشريف عبد المعين على رأس قواته وأخذ في تخريب الخط الحديدي الفرعي الواصل بين الهيشة وعنيزة حتى وصل إلى عين نجل على بعد ٧ كلم من الهيشة، وفي اليوم التالي (١٤ كانون الثاني) تمكن الشريف عبد المعين وبعد قتال استمر لمدة ١٢ ساعة من الاستيلاء على قلعة الشوبك[٧٢][٧٣]. وفي يوم ١٧ كانون الثاني وصل الأمير زيد إلى الشوبك (نجل) وهو في طريقه إلى الطفيلة، فاطمأن على أحوالها، ثم تابع سيره إلى الطفيلة، ومن الطفيلة كتب يوم ٢٢ كانون الثاني إلى أخيه الأمير فيصل يطلعه على استقرار الأوضاع في الشوبك، وأن الأتراك أصبحوا في هذه الأثناء مهتمين بتخريب سكة الحديد من عنيزة إلى الشوبك لا تعميرها[٧٤]، مما يدل على انقطاع أملهم في العودة ثانية إلى الشوبك. وهكذا تمكنت القوات العربية في منتصف كانون الثاني ١٩١٨م، من تحرير الشوبك، وأوكلت مهمة إداراتها إلى الشريف عبد المعين الذي اتخذ من قلعة الشوبك مركزًا له ولحاميته، لتغدو الشوبك منذ نهاية كانون ثاني ١٩١٨م، مركزًا لانطلاق العمليات العسكرية تجاه الطفيلة وعنيزه ومعان.

ثانيًا: معارك المحطات

تزامنًا مع الحملات التي قادها الأمير فيصل تجاه وادي موسى والشوبك والطفيلة، ألف الجيش الشمالي بعض السرايا والمفارز للإغارة على محطات سكة الحديد الواقعة إلى الجنوب والشمال من معان، وكان الهدف من هذه الغارات هو احتلال هذه المحطات أو تخريبها بصورة فنية كي تعزل معان وتجبر حاميتها على الخروج من تحصيناتها، وقد بدأت معارك المحطات على الساحة الأردنية يوم ٦ تشرين الأول ١٩١٧م، بتدمير جسر ونسف قطار عند الكيلو متر ٥٠٠ من سكة الحديد الواقعة جنوب معان، ثم تلت هذه العملية العديد من العمليات العسكرية ضد المحطات وسكة الحديد كانت على النحو الآتي:

١/٢- معركة محطة المدورة

تقع محطة المدورة إلى الجنوب من معان على مسافة ١٢٠ كلم تقريبًا[٧٥]، وكان الأتراك قد اعتنوا بتحصينها، فخصصوا لحمايتها فوج مشاة يتألف من ٣٠٠ جندي، وسرية رشاش، وهنا نستقي أحداث هذه المعركة من أوراق صبحي العمري الذي أورد أنه في الوقت الذي كانت تدور فيه معارك الطفيلة رحاها، قامت مفرزة من الجيش الشمالي مؤلفة من سرية مشاة نظامية وفصيل مدفعي وعدد من السيارات المصفحة البريطانية، مع بعض قوات البدو من عشيرة الحويطات، عملية ضد محطة المدورة بهدف الاستيلاء عليها. ويذكر العمري أن الهجوم على المحطة بدأ فجر يوم ٢٣ كانون الثاني ١٩١٨م، تحت غطاء من الطائرات البريطانية وقصف شديد من المدفعية، وتمكنت القوات العربية في اليوم الأول من الهجوم من الاستيلاء على دبابة وقتل خمسة أتراك وأسر خمسة آخرين، لكن في اليوم الثاني ظهر تخاذل وتكاسل من قبل الجنود المهاجمين مما أدى إلى فشل الحملة وانسحابها[٧٦].

وتشير مذكرات الأمير زيد إلى أن عملية المدورة تمت تحت إشراف الأمير فيصل شخصيًا، وأن الأمير فيصل كان يتوقع الاستيلاء على المحطة في غضون خمسة دقائق لكن التخاذل والتكاسل من قبل أفراد الحملة أدى إلى فشلها[٧٧]. ويمكن إرجاع أسباب تخاذل وتكاسل القوات المهاجمة، وهو ما تحدث عنه كل من الأمير فيصل وصبحي العمري، إلى ما يلي:

١. عدم توفر المياه.
٢. وصول نجدات قوية للأتراك في اليوم الثاني من المعركة.
٣. عزوف البدو عن المشاركة في الهجوم لقلة خبرتهم في مهاجمة مواضع دفاع محصنة بالخنادق والألغام والأسلاك الشائكة[٧٨].

٢/٢- حملة محطة فصوعة (عقبة الحجاز)

تقع محطة فصوعة على بعد ٦٠ كلم جنوب مدينة معان[٧٩]، وقد جاء تحريك حملة ضد هذه المحطة ضمن حلقة من سلسلة الهجمات التي اعتاد العرب على شنها ضد خط سكة الحديد، وقد أنتدب لقيادة هذه الحملة مولود مخلص – قائد الفرقة العربية الأولى آنذاك – لكن مولود رفض القيام بهذه المهمة بعد أن ترآى لعلمه أنباء الاتفاقيات السرية بين الحلفاء وخاصة صدور وعد بلفور القاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، إذ أخذ مولود يشكك في نوايا الإنجليز وتصرفاتهم، وقال: " يجب علينا بعد الآن أن نولي وجهنا شطر الشمال لخدمة قضيتنا العربية"[٨٠]، وذلك اعتقادًا منه أن

الإنجليز يتعمدون توجيه الجهد العربي توجيهًا خاطئًا في حملات لا يرجى أن تؤدي إلى نتائج حاسمة، ونتج عن تصرف مولود هذا أن صدر أمر الإنجليز بعزله عن منصبه وحجزه في مقر القيادة في أبو اللسن، وعين مكانه جعفر العسكري[٨١].

وقد زحفت الحملة في أوائل شهر نيسان ١٩١٨م بقيادة جعفر العسكري، من أبو اللسن في طقس غائم ماطر، غير أنها لم تكد تبتعد عن أبا اللسن حتى هبت عليها عاصفة شديدة تلتها أمطار غزيرة وبرد شديد، مما اضطرها للعودة إلى قاعدتها، بعدما هلك كثير من الجمال ومات عدد من الجنود، ولما اتصل الخبر للأمير فيصل، خرج بنفسه لاستقبال الجموع مصطحبًا معه الأطباء والروادل[٨٢]. ويورد العجلوني – وكان أحد ضباط تلك الحملة – وصفًا دقيقًا للمعاناة التي لقيها رجال الحملة فيقول: "ولما أدركنا المساء ونحن في مسيرنا رأينا السماء تزمجر وأخذت الأمطار تهطل بغزارة.. ولم يكن مستطاعًا أن نعود إلى الوراء.. ولما أسفر الصباح رجعنا.. ومررنا بالجمال وهي باركة في الوحل وأكثرها متجمد.. وذهب ضحية هذا المقلب بضعة جنود وأصبنا جميعا بمرض الروماتيزم"[٨٣]. وهكذا فشلت هذه الحملة فشلاً ذريعًا، وكان من نتائج فشلها أن دب اليأس في قلوب أفراد الفرقة العربية الأولى وضباطها، الأمر الذي أدى إلى إعادة مولود إلى منصبه السابق لرفع معنويات الجند.

٣/٢- معركة محطة عنيزة

تقع محطة عنيزة إلى الشمال من معان على بعد ٣٦ كلم[٨٤]، في مكان متوسط بين محطتي جرف الدراويش من الشمال والجردونة من الجنوب، وعلى مقربة منها تقع قلعة عنيزة التي يعود تاريخ بناءها إلى سنة ٩٨٤هـ/١٥٧٦م، على بعد ٤٠٠م إلى الشرق منها، وتحتل المحطة أرض مستوية مكشوفة لا يتخللها عارض سوى جبل عنيزة الذي يرتفع عن مستوى سطح البحر ١٢٤٤م، مما جعله يشرف ويسيطر على جميع ما حوله[٨٥].

ونظرًا لأهمية موقع عنيزة – المحطة والقلعة والجبل – بالنسبة للأتراك، باعتبارها خط الدفاع الأول عن معان من جهة الشمال، فقد أحكم الأتراك دفاعاتهم عن هذا الموقع؛ فحفروا الخنادق حوله، ونظموا خطوطًا للمواصلات السرية بين المحطة والجبل، وعززوا الجبل بالأسلاك الشائكة، ووضعوا في أعلاه مدفع صحراوي طويل المدى، كما زرعوا حوله الألغام، وبذلك أصبح موقع دفاع يصعب الاستيلاء عليه أو حتى الاقتراب منه[٨٦]. ولعل هذا ما يفسر بقاء محطة عنيزة صامدة في وجه القوات العربية حتى سقوط معان.

من هنا لم تجر إلا محاولة واحدة للاستيلاء على محطة عنيزة انتهت بمفاجأة مضحكة، وذلك عندما تقدمت حملة عربية يقودها المقدم رشيد المدفعي في أوائل نيسان ١٩١٨م، قوامها سريتي مشاة وسرية رشاش وفصيل مدفعية، وكانت الخطة التي وضعت للحملة هي أن تسير القوات ليلاً وتحت جناح الظلام حتى تصل قريبًا من جبل عنيزة مع الفجر، ثم تنقسم القوات إلى سريتين الأولى تباغت قوات الأتراك المتحصنة على الجبل من جهة اليمين، والثانية تتقدم باتجاه المحطة من اليسار، هذا في الوقت الذي تقوم فيه قوات المشاة والمدفعية بمشاغلة العدو، وبلغت الحملة هدفها نحو الساعة الواحدة صباحًا، ولم يكد يتبقى عن وقت الهجوم سوى عشر دقائق حتى أخذ أحد الحمير الذي يحمل فناطس الماء بالنهيق وتبعه بقية الحمير، فانتبه الأتراك في الجبل للهجوم، وفي الحال أخذوا يطلقون نار مدفعيتهم على القوات العربية، مما اضطرها إلى الانسحاب وسط ضحكات الجنود، ويختتم صبحي العمري – الذي كان أحد ضباط الحملة - روايته لأحداثها بقوله: "وهكذا عدنا من قلعة عنيزة وقد أنقذها منا حمار"[٨٧].

ثالثًا: معارك مدينة معان

منذ انطلاق رصاصة الثورة العربية الكبرى في حزيران ١٩١٦م، أولى الأتراك معان أهمية خاصة، نظرًا لما تتمتع به من مميزات دون سواها في شرقي الأردن، والتي من أهمها:

١. موقعها في أراضٍ تحيط بها الهضاب والتلال من جميع أطرافها.

٢. توفر عيون المياه الغزيرة فيها.

٣. موقعها في مكان يتوسط المسافة بين دمشق والمدينة المنورة.

وهذا ما جعل من معان مركزًا حربيًا استراتيجيًا يفوق كل الأمكنة الأخرى أهمية على طول الخط الحديدي، وجعل الأتراك يتخذون منها مركزًا لقوات المحافظة على الخط الحديدي والتي كانت تحت قيادة محمد جمال باشا (جمال الثالث)[٨٨]. ومع اقتراب قوات الثورة من معان زاد اهتمام الأتراك بها حتى أن الجنرال الألماني فالكنهاين الذي أرسلته ألمانيا ليتولى قيادة العمليات العسكرية في الشرق، جاء بنفسه إلى معان ليشرف على خطط الدفاع فيها، فتعاون فالكنهاين مع جمال باشا في تحصين المدينة، حيث أنشأوا حولها تحصينات قوية، ثم جاءوا إليها ببعض الطائرات، وعززوا قواتها حتى بلغت مع نهاية أيلول ١٩١٧م، ستة آلاف من

المشاة وكتيبتين من الفرسان والخيالة وستة عشر مدفعًا[٨٩].

وحتى انتقال مقر قيادة الجيش العربي من القويرة إلى أبو اللسن في منتصف آذار ١٩١٨م، ظلت معظم هجمات الجيش العربي في محور معان مقتصرة على الأطراف وعلى محطات سكة الحديد جنوب وشمال معان، بينما لم تستهدف معان مباشرة. ويتحدث العجلوني عن الظروف التي أفضت أخيرًا إلى الهجوم على معان، ويجملها فيما يلي:

١. مماطلة الإنجليز في تزويد جيش الثورة بالأسلحة والعتاد.
٢. تذمر وسخط الضباط العرب حول ما أذيع من خبر الاتفاق السري بين الحلفاء (سايكس – بيكو) لاقتسام سوريا فيما بينهم.
٣. ورود الأخبار من القاهرة عن ميل الإنجليز إلى إبقاء الجيش العربي في مواقعه يحاصر معان ليحول دون اندفاع الأتراك شمالاً لتعزيز فرق الدفاع بوجه الإنجليز[٩٠].

أدت هذه المتغيرات إلى تنامي القلق والتذمر في نفوس الضباط والجنود العرب، حتى كادت الأمور أن تتطور إلى تمرد، فكتب الضباط العرب في الميدان إلى الأمير فيصل يشكون الإنجليز ويلحون بالزحف نحو الشمال والقيام بهجوم مباشر على معان، فلم يجد الأمير فيصل مناص من الاستجابة لطلبهم، فجرت مخابرات بين الأمير فيصل والجنرال اللنبي القائد العام للقوات البريطانية في مصر، حول رغبة الجيش العربي في الهجوم على معان، إلا أن اللنبي طلب من الأمير فيصل إرجاء الهجوم على معان حتى يتم الإنجليز استعداداتهم في ميدان فلسطين، لكن يبدو أن نجاح الترك في استعادة عمّان من الإنجليز يوم ٣١ آذار هو ما دفع اللنبي للتراجع عن رأيه، فاتصل بالأمير فيصل يطلب منه الاستيلاء على معان[٩١]. ويأتي في مذكرات الأمير زيد أن أخيه الأمير فيصل كتب إليه بتاريخ ٣ نيسان يطلب منه أن يوافيه إلى موقع أبو اللسن لكي يعاونه في الهجوم على معان[٩٢].

١/٣- مؤتمر أبو اللسن

في يوم ٨ نيسان ١٩١٨م عقد الأمير فيصل مؤتمرًا عسكريًا في أبو اللسن للبحث في أمر الهجوم على معان، حضره الأمير زيد وجعفر العسكري ونوري السعيد والكولونيل داوني العضو البريطاني في هيئة أركان الجيش العربي الشمالي، ويروي لورنس تفاصيل ذلك الاجتماع الذي تقرر فيه الهجوم فورًا على معان، إذ يقول أنه كان من رأيه وزملائه في البعثة الإنجليزية، أن يقوم الجيش العربي أولاً بمهاجمة المحطات الصغيرة الواقعة جنوب وشمال معان، وتخريبها حتى يضطر الأتراك للخروج لمواجهة تلك القوات، وعندئذ يتمكن العرب من الانتصار عليهم في الأرض المكشوفة، ويضيف أنه على الرغم من أن الأمير فيصل وجعفر العسكري وافقوا على هذه الخطة، إلا أن الضباط العرب أصروا على الهجوم المباشر على معان، مما جعل الجميع يستجيب لرغبتهم[٩٣].

وتقرر في المؤتمر أن يكون الهجوم على معان من ثلاث جهات وعلى النحو الآتي:

١. تقوم قوة من الفرقة الثانية بقيادة نوري السعيد بمهاجمة محطة غدير الحاج إلى الجنوب من معان.
٢. تقوم قوة من الفرقة الثانية بقيادة جعفر العسكري بمهاجمة محطة الجردونة إلى الشمال من معان.
٣. تقوم الفرقة الأولى بمهاجمة معان من الغرب لاحتلال تلول السمنات بقيادة مولود مخلص[٩٤].

٢/٣- تشكيلات الجيش العربي التي شاركت في معارك معان

أورد كل من صبحي العمري – الذي كان يقود سرية رشاش -ومحمد العجلوني – الذي كان يقود سرية مشاة – في معارك معان، تفصيلات حجم وتشكيل القوات العربية النظامية والمتطوعة التي شاركت في الهجوم على معان، وذلك على النحو الآتي :

١. فرقتي مشاة: الأولى يقودها مولود مخلص والثانية عبد المجيد حسون، وتتكون كل فرقة من لوائين، وكل لواء من ٢-٣ أفواج، وكل فوج من ٢-٣ سرايا، وكل سرية من نحو ١٠٠ جندي.
٢. اللواء الهاشمي: ويتشكل من سرية خيالة فيها من ٧٠-٨٠ خيالاً وبغالاً، وسرية رشاش.
٣. مدافع متنوعة عدد (١٥).
٤. قوات عشائرية قوامها (٣٠٠٠) مقاتل. هذا بالإضافة إلى بنادق ومسدسات متعددة الأنواع[٩٥].

٣/٣- تنفيذ الهجوم على معان

(٣/٣) ١- معارك المرحلة الأولى (التمهيد للهجوم من ١٠ – ١٣ نيسان ١٩١٨م):

أ- معارك محطتي غدير الحاج والجردونة:

تنفيذًا لما جاء في مؤتمر أبو اللسن، وتمهيدًا للمعركة الرئيسية في معان، قاد نوري السعيد قوة تتألف من مشاة

اللواء الثاني من الفرقة الثانية، بالإضافة إلى قوة من البدو بقيادة عوده أبو تايه وحمد بن جازي، للهجوم على محطة غدير الحاج، قدر عددهم حسب رواية صبحي العمري بنحو ٢٠٠ مقاتل، أما العجلوني –الذي كان يقود إحدى سرايا المشاة في الحملة– فيجعل عددهم بضع مئات، في حين يروي نوري السعيد انه تقرر أن يستعين بقوة من البدو المتطوعين يبلغ عددها ١٠٠٠ مقاتل[٩٦].

وقد زحفت الحملة مساء يوم ١٠ نيسان، وبدأ الهجوم على المحطة فجر يوم ١١ نيسان ١٩١٨م، وكانت المدفعية قد مهدت للهجوم بدكها مبنى المحطة بالقنابل، ثم زحف رجال المشاة على استحكامات الأتراك ونشبت بين الطرفين معركة لم تدم طويلاً انتهت بتحطم مقاومة المحطة، واستيلاء القوات العربية عليها وأسر ٣٠٠ من رجالها بين ضابط وجندي[٩٧]، وجاء في رسالة الأمير فيصل إلى الملك الحسين بتاريخ ١٣ نيسان ١٩١٨م، أن عدد الأسرى ١٥٠ أسيرًا[٩٨]. وبعد سقوط المحطة عمد أفراد القوة العربية إلى تخريب سكة الحديد من جنوب معان لمسافة ١٠ كلم[٩٩]، وفي اليوم التالي عاد نوري السعيد بقواته إلى أوهيدة، التي اتخذت في هذه الأثناء مقرًا جديدًا للقيادة العربية بدلاً من أبو اللسن، وذلك تمهيدًا للالتحاق بالقوات العربية التي ستهاجم معان.

ومما يذكر من أحداث عملية غدير الحاج، أن القوات العربية عندما اقتربت منها أرسلت نقيبًا وجنديًا للاستطلاع، وحدث أن باغتهما الأتراك فقتلوا الجندي وقادوا النقيب إلى داخل المحطة، وعندما احتل الجيش العربي المحطة وجدوا النقيب مقطوع الرأس ومشوه الجسد، فكان لهذا المشهد ردت فعل شديدة لدى الضباط والجنود، ويروي أمين سعيد أن جميل المدفعي (قائد المدفعية) قام بقتل جنديين تركيين انتقامًا له، وكتب في الوقت ذاته إلى قائد الجيش التركي في معان ينذره بقتل أسرى الترك إذ عادوا إلى ذبح الأسرى العرب[١٠٠].

أما عن محطة الجردونة التي تقع في سهل منبسط شمال معان على بعد ١٥ كلم[١٠١]، فقد تقرر الهجوم عليها بالتزامن مع عملية غدير الحاج، وأوكلت مهمة الاستيلاء عليها إلى اللواء الأول في الفرقة الثانية الذي كان يتمركز في عين نجل (الشوبك)، وقد وصلت القوات إلى مشارف المحطة مساء يوم ١١ نيسان وتولى قيادتها جعفر العسكري، وتألفت هذه القوة من ٦٠٠ جنديًا نظاميًا[١٠٢]، وفي صباح يوم ١٢ نيسان بدأ الهجوم بقصف شديد من المدفعية ثم شرعت قوات المشاة بالتقدم حتى أحكمت سيطرتها على مواقع الجنود الأتراك في الخنادق من كل الجهات، ثم دارت بين الطرفين معركة خاطفة استخدمت فيها القنابل اليدوية والأسلحة البيضاء، انتهت باستسلام الحامية التركية وسقوط المحطة[١٠٣]. وبعد احتلال المحطة عمدت القوات العربية إلى نسف الجسر الذي يربط المحطة مع الخط الحديدي، كما نزعوا عددًا من القضبان الحديدية من الخط، ثم قفلوا عائدين إلى أوهيدة، بعد أن أتت النجدات التركية إلى المحطة من جهة معان وعنيزة[١٠٤].

ب- معركة تلول السمنات:

بعد أن حقق العرب النجاح في هجومهم على غدير الحاج والجردونة وفقًا للخطة التي وضعت للهجوم على معان، كانت الخطوة التالية مهاجمة تلول السمنات ذات التحصينات المنيعة، والتي لا تبعد عن معان أكثر من خمسة كيلو مترات من جهة الغرب، واختارت القيادة العربية لتنفيذ هذه المهمة، الفرقة الأولى بقيادة مولود مخلص، والحق بهاء لواء المدفعية بقيادة جميل المدفعي، وقوة من البدو تقدر بـ ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة عوده أبو تايه[١٠٥].

وفي صباح يوم ١٣ نيسان شرعت القوات العربية بالهجوم على مواقع الترك الأمامية في تلول السمنات، وأصلت المدفعية العربية الترك نيرانًا حامية، مما أرغمهم على الانسحاب وإخلاء مواقعهم، ولما رأى مولود تقهقر الترك عز عليه انسحابهم سالمين، فنادى برجاله لمطاردة إحدى السرايا المنسحبة، وتمكن من أسر السرية المنسحبة عن بكرة أبيها، ثم أخذ يطار سرية أخرى، وحدث في هذه الأثناء أن كمن بعض الجنود المنسحبين على الأرض وأخذوا بإطلاق النار مما أدى إلى إصابة مولود برصاصتين الأولى كسرت رجله اليسرى، والأخرى جرحت رجله اليمنى، فسقط عن حصانه وكاد أن يقع في الأسر[١٠٦].

وهكذا تم لمولود مخلص رغم إصابته الاستيلاء على تلول سمنة ذات التحصينات والموقع الاستراتيجي، وقد فجع القادة العرب والإنجليز في إصابته لكونه واحدًا من أفضل الضباط في الجيش، فقد علق رئيس الأركان البريطاني الكولونيل داوني على إصابة مولود بقوله:" مما يؤسف له أن مولود وهو أقدر الضباط العرب أصيب بجرح بليغ "[١٠٧]. وكان مولود قد نقل إلى مقر الجيش العربي، ومن هناك أرسل إلى القاهرة للمعالجة، وظلت قيادة الفرقة الأولى شاغرة حتى عين نوري السعيد خلفًا له. وفي مساء ١٣ نيسان اتصلت قوات نوري السعيد الزاحفة من الجنوب بقوات مولود في السمنات، وفي اليوم التالي تمكنت قوات جعفر العسكري

من الاتصال أيضًا بتحصينات معان من الشمال، وعندئذ أسندت القيادة العامة لعمليات الهجوم على معان إلى جعفر العسكري[١٠٨].

(٣/٣) ٢- معارك المرحلة الثانية (الهجوم المباشر على معان من ١٦-١٨ نيسان ١٩١٨م):

باحتلال مولود مخلص لتلول السمنات يوم ١٣ نيسان، تكون قد تحققت أهداف المرحلة الأولى من الهجوم، إذ أصبحت معان محاصرة من ثلاث جهات – الشمال والجنوب والغرب – ولم يعد للأتراك من منفذ إلا الصحراء من الشرق. وخلال يومي ١٤ و١٥ نيسان كثفت القوات العربية من استعداداتها للمعركة المقبلة، حيث تمركزت الفرقتان الأولى والثانية في مواضعهما في تلول السمنات، وفي هذه الأثناء وصلت شحنة من الذخائر والمؤن البريطانية إلى أوهيدة، كما نقل الأمير فيصل مقر قيادته من أوهيدة إلى تلول السمنات ليكون قريبًا من مجريات المعركة، أما الأتراك فكانوا في تلك الآونة يستحكمون في خنادقهم[١٠٩].

وفي صباح يوم ١٦ نيسان قاد جعفر العسكري الهجوم المباشر على معان ذاتها، وبدأت المعركة بقصف مدفعي شديد، ثم شرعت قوات المشاة بالتحرك من سمنة تجاه الخط الأول من استحكامات الترك تحت وابل من نيران الرشاشات، وبعد اعتراك مرير تمكنت القوات العربية من اقتحام خنادقهم والاستيلاء عليها، وفي المساء قام جنود اللواء الأول في الفرقة الأولى بالهجوم على خط الدفاع الثاني فاحتلوه بعد العشاء بعد استبسال ومقاومة مستميتة.

وفي اليوم التالي (١٧ نيسان) استؤنف الهجوم بشدة وحماسة، إذ لم يبق إلا الخط الثالث والأخير للأتراك، يقول العجلوني:" ومضينا في تقدمنا إلى الخط الثالث والأخير، والذي يقوم على ربوة جنوبي غربي المحطة ولا يبتعد عنها أكثر من ثلاثمائة متر"[١١٠]، واشتد القتال خلال هذا اليوم، وتمكنت قوة من البدو بقيادة عوده أبو تايه من الاستيلاء على مركزين للأتراك في الجهة الشرقية للمحطة، كما تمكنت القوات النظامية من الوصول إلى المحطة بعد قتال عنيف، ولم يأت المساء إلا وكانت القوات العربية قد استولت على جميع مواضع الخط الثالث، ولم يتبق بيد الأتراك إلا المواضع التي تحيط بالمحطة من الشرق والشمال والجنوب وهي أكثر المواقع تحصينًا.

وفي صباح يوم ١٨ نيسان استؤنف القتال من جديد، حيث تقدمت الفرقة الثانية للاستيلاء على المواضع التي يشغلها العدو في شرق وجنوب المحطة، وكانت الخطة أن تسير هذه القوات تحت حماية المدفعية الفرنسية، غير أنها ما أن وصلت في منتصف المسافة وفي أخطر نقطة حتى توقفت بطارية المدفعية الفرنسية فجأة عن القصف بحجة نفاذ الذخيرة، الأمر الذي جعل القوات المهاجمة بلا حماية، فكر عليهم الترك برشاشاتهم وأرغموهم على التراجع بعد أن أوقعوا فيهم خسائر فادحة[١١١]. وقد أظهر نوري السعيد بعد توقف المعركة امتعاضه الشديد من توقف البطارية الفرنسية وعدم تصديقة لرواية آمر البطارية الفرنسية بنفاذ العتاد، فيقول: "فاستغربت جدًا عمل آمر المدفعية الفرنسية لأني لم أزل أتذكر جيدًا أن هذه البطارية لم تقم بواجبها وأنها لم تطلق أكثر من بضع قذائف لتقدير المدى والاتجاهات وهذا لم يكلفها أكثر من عشرين قذيفة".[١١٢]

ونظرًا لفداحة الخسائر التي حلت بالجيش العربي في هذا اليوم أمر الأمير فيصل بعد أن حلّ الظلام، بالتراجع إلى ما وراء خط سمنة لإعادة تنظيم القوات والحصول مقادير جديدة من الأسلحة، ويذكر العلجوني أن التقارير التي نشرتها أركان حرب الفرقة التركية في معان بعد المعركة، أشارت إلى أن حامية معان كانت على وشك الاستسلام ذلك اليوم وأن مقاومتها تحطمت، ولولا توقف المدفعية عن القصف في الساعة الحرجة من المعركة لاستولى العرب على الاستحكامات في الخط الثالث[١١٣].

وبالنظر إلى الخسائر التي لحقت بالقوات العربية منذ بد هجوم المرحلة الثانية وحتى مساء ١٨ نيسان، فقد كانت نحو ٩٠ قتيلاً و٢٠٠ جريح، أما خسائر الأتراك فلقد كانت ٢٥٠ بين قتيل وجريح، و٤٠٠ أسير[١١٤]. وهنا يمكن إرجاع أسباب فشل الهجوم على معان لما يلي:

١. الفراغ المادي والمعنوي الذي تركه خروج القائد مولود مخلص من المعركة في مراحلها الأولى، وعدم توفر بديل مناسب يسد ذلك الفراغ.
٢. عدم اشتراك القوات البدوية بصورة جدية في اليوم الثالث من الهجوم، لأن رجالها يأنفون قتال المراكز المحصنة[١١٥].
٣. توقف المدفعية الفرنسية عن إسناد القوات المهاجمة في الوقت الحرج، بحجة نفاذ العتاد، على الرغم أنهم لم يرموا سوى عشرين طلقة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عدم رغبة الحلفاء بسقوط معان، إذ أن موافقة بريطانيا وفرنسا على الهجوم جاءت على مضض.
٤. انضمام أهالي معان للأتراك في مقاومة الهجوم العربي، إذ عندما شاع بين أهالي معان أن الأتراك عقدوا اجتماعًا

في ليلة ١٨ نيسان وقرروا فيه الاستسلام، توجه أهالي معان لمقر الحامية التركية ومنعوهم من التسليم على أن يشتركوا معهم في المقاومة، وفعلاً تطوع منهم ٩٠٠ مقاتل وهذا ما قوى عزيمة الأتراك ومنعهم من التسليم.[١١٦]

رابعًا: معارك المحطات الثانية

لم يوفق الجيش العربي في الاستيلاء على معان يوم ١٨ نيسان، لكن مع ذلك برهن الجنود العرب على المستوى الرفيع الذي وصلوا إليه من المهارة والقتال، يقول لورنس "وهكذا أثبتت معركة معان أن العرب يمكنهم أن يقاتلوا بشجاعة ويحاربوا بضراوة وحنكة دون مساندة الإنجليز"[١١٧]، وبعد إخفاق الهجوم على معان تقرر إبقاء بعض القوات في أوهيدة والسمنات للضغط على معان، مع توجيه حملات في الوقت ذاته لمهاجمة محطات السكة إلى الجنوب والشمال من معان.

١/٤- معركة محطة تل الشحم

تقع محطة تل الشحم إلى الشمال من المدورة بمسافة ٢٦ كلم[١١٨]، وكان الجيش العربي بعد أن أعاد تنظيم صفوفه بعد معركة معان، قرر أن يستأنف الهجوم على مواضع الأتراك، وكانت محطة تل الشحم أول أهدافه، إذ بتاريخ ١٩ نيسان قامت قوة من العرب بمساعدة البعثة البريطانية بشن هجوم على خط سكة الحديد قريبًا من محطة تل الشحم، فاستولوا على عدة مراكز حولها، ثم شنوا هجومًا مركزًا تؤازرهم بعض قوات البدو، فاستولوا عليها وأسروا ٥٤ جنديًا، ثم مضت القوات بمهاجمة وتخريب سكة الحديد حتى وصلت محطة المدورة، وكان الأمير فيصل قد أرسل قوة أخرى بهذه الأثناء للإغارة على المحطات جنوب معان، وما هي إلا بضعة أيام حتى تمكنت قوات الجيش العربي من تخريب السكة بصورة تامة بين معان والمدورة.[١١٩]

٢/٤- معارك محطة الجردونة الثانية

جاءت عمليات محطة الجردونة الثانية وفق خطة وضعها الأمير زيد للاستيلاء على عدة محطات إلى الشمال من معان، كما حدث لمحطات الجنوب منها، بقصد إرغام حاميتها على الاستسلام. من هنا قاد الأمير زيد بنفسه قوة مؤلفة من لوائين من المشاة ولواء من الفرسان، وشن هجومًا على محطة الجردونة فجر يوم ١١ أيار، وبعد مضي بضع ساعات على القتال اضطرت حامية الجردونة للاستسلام، وبعد أن أجرت القوة العربية التخريبات في المحطة عادت مثقلة بالغنائم والأسرى إلى معسكرها في أوهيدة[١٢٠]. وكانت القوات التركية بعد انسحاب القوات العربية من الجردونة قد عادت إليها يوم ١٤ أيار، وأخذوا في إصلاحها وتحصينها استعدادًا لأي هجوم جديد، كما عززوا قواتهم في محطة عنيزة. ويتحدث نوري السعيد عن تحكيمات الأتراك الجديدة حول محطة الجردونة، فيقول أنهم حفروا خنادق جديدة بشكل بيضوي وبطول ٨٠٠ أو ٩٠٠ متر، ثم غطوا سقوف الخنادق بالقضبان الحديدية، وحفروا خنادق احتياطية وزرعوا حقلاً من الألغام أمام مواضعهم.[١٢١]

وحينما وصلت أنباء وصول النجدات التركية الجديدة للمحطة، قررت القيادة العربية القيام بهجوم جديد عليها، وبنفس القوات التي شاركت في الهجوم السابق، مضافًا إليها لواء من المشاة بقيادة تحسين علي، وثلاث طائرات بريطانية، وقوة من العشائر[١٢٢]. وفي فجر يوم ١٧ أيار بدأت القوات العربية بقيادة نوري السعيد الهجوم على المحطة، وكان من المقرر أن تهجم الألوية الثلاث في آن واحد؛ الأول بقيادة سيّد طاهر من اليسار، والثاني بقيادة رشيد علي من اليمين، بينما لواء تحسين علي من الوسط، لكن يبدو أنه حدث خطأ ما جعل لواء رشيد علي يبدأ بالتقدم نحو المحطة قبل الوقت المعين، مما جعل الأتراك يوجهون كامل قواهم نحو هذا اللواء الذي تمكن رغم ذلك من الوصول إلى خط الدفاع الخارجي حول المحطة، وعندما عجز الأتراك عن رد هجوم هذا اللواء لجأوا إلى الحيلة، إذ رفع جنود الخنادق الأمامية أيديهم علامة على استسلامهم، وعندما تقدم عدد من الجنود العرب لأخذهم أسرى، بادر الجنود الأتراك في الخنادق الخلفية إلى رميهم بالقنابل اليدوية والرصاص، فقتلوا الكثير منهم بينهم قائد اللواء نفسه رشيد علي، مما اضطر الباقين للرجوع.[١٢٣]

أما لواء سيد طاهر ولواء تحسين علي، فقد اندفعا بكل ما لديهم من قوة فور سماعهم لأزيز الرصاص من جهة لواء رشيد علي، حتى أصبحا على بعد ٣٠٠ متر من خنادق الأتراك، وهنا حمي وطيس المعركة لكن حقول الألغام واستحكامات العدو، واستشهاد سيّد طاهر قائد اللواء الأول، وإصابة تحسين علي قائد لواء المشاة، أجبر القائد نوري السعيد على أن يتخذ قرار التراجع، لتسفر المعركة عن فشل ذريع لقوات الثورة، إذ قدر نوري السعيد خسائر الجيش العربي في المعركة بأنها تزيد على نصف قوات لواء رشيد علي، وربع قوات لواء سيد طاهر[١٢٤]. ويقدم صبحي العمري إحصائية أكثر وضوحًا بالخسائر، إذ يقول أن المعركة أسفرت عن مقتل

٦ ضباط و٢٣ جنديًا و١٠٠ جريح[١٢٥]. لكن هذا الفشل الذي لقيته القوات العربية في الجردونة لم يثن من عزيمتهم، فقد نشطت مفارزهم وسراياهم بعد هذه الهزيمة في تكثيف هجماتها على سكة الحديد بين معان وعنيزة، فقامت يوم ٢٦ أيار قوة نظامية بمهاجمة الخط وتدمير جسرين بين معان والجردونة، وفي يوم ٣٠ أيار تمكنت القوات العربية من تخريب مسافة ٢ كلم من السكة بين عنيزة والجردونة، ثم في يوم ٢٠ حزيران هاجمت قوة عشائرية قافلة مؤن وذخيرة بين محطتي عنيزة والجردونة واستولت عليها[١٢٦]. وقد أثارت هذه العمليات حفيظة الأتراك، فارسلوا تعزيزات من الجيش التركي السابع في نابلس إلى شرقي الأردن، الأمر الذي اعتبره العرب آنذاك استعدادًا تركيًا للهجوم على القوات العربية في أوهيدة وأبو اللسن، ولمواجهة ذلك سارعت القوات العربية في مهاجمة الجردونة مرة أخرى في ٢١ تموز ١٩١٨م، وقد أشرف على الهجوم الأميران فيصل وزيد، وتولى قيادة العمليات العسكرية في الميدان نوري السعيد[١٢٧].

وكانت الخطة تقضي بالهجوم من جميع الجهات، بحيث يتولى الجنود النظاميين الهجوم من الجهات الجنوبية والغربية والشمالية، والبدو من الجهة الشرقية، ومع بزوغ فجر يوم ٢١ تموز بدأ الهجوم بقصف من المدفعية والطائرات، ثم أعقبه زحف للقوات النظامية، لكن يبدو أن خطأ توقيت بدء الهجوم الذي حدث في معركة الجردونة السابقة قد تكرر هنا، إذ أن أحد الألوية المهاجمة سبق الموعد المعين للزحف بساعة كاملة، وبذلك سلط عليه الأتراك جميع نيرانه وأوقع في أفراده خسائر فادحة، ومع أن بعض القوات النظامية استطاعت اختراق الدفاعات الأمامية للحامية التركية، إلا أنها عندما وصلت إلى الخنادق وجدت نفسها عاجزة عن فعل شيء أمام قوة استحكامات العدو ونيران رشاشاته الدقيقة والمميتة، وبعد قتال عنيف استمر لعدة ساعات قدم قطار من عنيزة يحمل النجدات للحامية، وهنا ونظرًا لما أحدثه وصول القطار من تأثير معنوي على جنود الحامية، وبسبب ما لحق العرب من خسائر فادحة في المعركة، أمر الأمير فيصل بوقف الهجوم والتراجع إلى أوهيدة[١٢٨]. وهكذا لم يكن مصير هذه الهجمة بأفضل من مصير الهجمات السابقة، على الرغم مما أبداه العرب من تصميم وبسالة، وكانت نسبة الخسائر في هذه المعركة أكثر من جميع المعارك السابقة، إذ بلغ عدد القتلى ٢٤ ضابطًا، و٢٠٠ جندي ما عدا الجرحى.[١٢٩]

خامسًا: معركة الدوشك (الدوسق) آخر معارك معان

الدوشك هو حصن عثماني يقع إلى الغرب من عنيزة على مسافة ١٧ كلم، ويتألف من بنائين منفصلين المسافة بينهما حوالي ١٢ متر، ويبدو من خلال الموقع الذي يشغله الحصن على مفترق طرق، تؤدي إلى الطفيلة شمالاً، وأذرع[١٣٠] جنوبًا، وعنيزة شرقًا، وقلعة الشوبك وعين نجل غربًا، أنه بني لاعتبارات عسكرية بحتة، فهو خط دفاع خلفي ثاني لقلعة عنيزة، ومحطة إنذار أولى لقلعة الشوبك، ومركز سيطرة وحماية لخط سكة الحديد الفرعي بين عنيزة والشوبك، ومركز تحكم لخطوط المواصلات بين المراكز الأربعة السابقة.

ولما كان يقيم في هذا الموقع مفرزة من الجيش الشمالي بقيادة الشريف مستور الفعر والشريف علي بن عريد[١٣١]، عمدت القوات التركية – تزامنًا مع هجومها على الطفيلة – للقيام بعملية خاطفة ضد الدوشك، بهدف إشغال العرب وإحباط خططهم بالتحرك نحو الشمال، من هنا شنت قوة تركية مكونة من أربعة طوابير مشاة وطابور خيالة وستة مدافع و٢٤ رشاش، هجومًا شاملاً على حصن الدوشك يوم ١٨ أيلول ١٩١٨م، وخاضت مع القوات العربية معركة دامت لساعات، شاركت فيها بعض قوات العشائر من أبناء الشوبك والبدو، ونظرًا لما لقيته القوات التركية من استبسال المقاومة اضطرت إلى التراجع بعد أن خسرت ٤٢ قتيلاً بينهم قائد القوة محمد عصري، و١٥ أسيرًا.[١٣٢]

وهكذا كانت معركة الدوشك خاتمة معارك الثورة العربية الكبرى ضمن محور معان، انتهت بفشل القوات التركية لينتهي معها بعد ذلك أي أمل لاستعادة مجد الأتراك في المنطقة، ولتكون هذه الهزيمة بداية النهاية لانسحاب الأتراك من جميع أراضي معان وبلاد الشام. حيث بعد أن أيقن الأتراك أن الهزيمة حلت بهم في ميدان فلسطين، وأنه لا مجال لهم لبناء خطوط دفاع جديدة إلى الجنوب من دمشق، صدرت الأوامر للقوات التركية بمعان يوم ٢٢ أيلول ١٩١٨م، بالانسحاب من معان على وجه السرعة، فانسحبوا منها يوم ٢٤ أيلول، وفي اليوم التالي دخلها الأمير زيد وغنم ما تركه الأتراك من أسلحة، وجاء في وصف الأمير زيد للاستحكامات التركية في معان قوله: "وقد وجدنا استحكامات معان مبنية على آخر طراز من الفن".[١٣٣]

خَاتِمَةُ

بعد استعراضنا لسائر العمليات العسكرية التي نفذتها جيوش الثورة العربية الكبرى في مسرح معان وجوارها، يمكن أن نخلص هنا إلى مجموعة من الحقائق أهمها:

١. أن المعارك التي شهدتها معان وجوارها شكلت الحلقة الأطول والأهم في مجريات الثورة العربية الكبرى على الأرض الأردنية، نظرًا لاتساع رقعة العمليات العسكرية فيها، وإصرار الأتراك على التمسك بمعان لما تشكله من حلقة وصل لقواتهم المنتشرة ما بين دمشق والمدينة المنورة.

٢. في الوقت الذي انحازت فيه معظم قبائل وعشائر جوار بلدة معان للثورة منذ فترة مبكرة، الأمر الذي سهل دخول جيوش الثورة لبلداتهم وقراهم، فإن أهالي معان القصبة، وقفوا على طرف نقيض من ذلك، إذ انحازوا إلى الأتراك، وقد جاء هذا الموقف من أهل معان لإخلاصهم للحكومة التي تتولى أمرهم، ولخوفهم من نهب البدو لمدينتهم لما بينهم من عداوة وخصام.

٣. لم يكن للقوات العشائرية التي شاركت مع جيوش الثورة عظيم شأن في معارك الاستيلاء على بلدة معان ومحطة الجردونة، لأن رجالها لم يألفوا الهجوم على المراكز المحصنة، في حين كان لهم بالغ الأثر في المعارك التي دارت رحاها في الأراضي المكشوفة مثل أبو اللسن والمريغة وأوهيدة ووادي موسى.

٤. على الرغم من إخفاق قوات الجيش العربي في معارك الهجوم على معان في نيسان ١٩١٨م، إلا أن تلك المعارك برهنت على شجاعة العرب وقدرتهم على القتال دون مساندة أجنبية.

٥. ظلت بلدة معان "القصبة" ومحطتي الجردونة وعنيزة، عصية على قوات الثورة حتى انسحاب الأتراك منها يوم ٢٤ أيلول ١٩١٨م، نظرًا للاستحكامات القوية التي اتخذها الأتراك حولها، وعدم جدية بريطانيا وفرنسا في دعم قوات الثورة للاستيلاء عليها.

٦. يعتبر القائد العراقي مولود مخلص بحق أبرز قادة جيوش الثورة ضمن محور معان، لما كان له من دور كبير في الاستيلاء على دلاغة ووادي موسى والمريغة وأوهيدة وتلول السمنات.

الملاحق

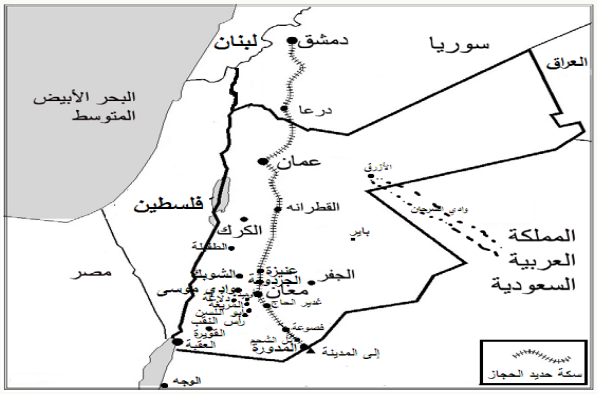

الشكل رقم (١)

خارطة تبين مواقع معارك معان في الثورة العربية الكبرى

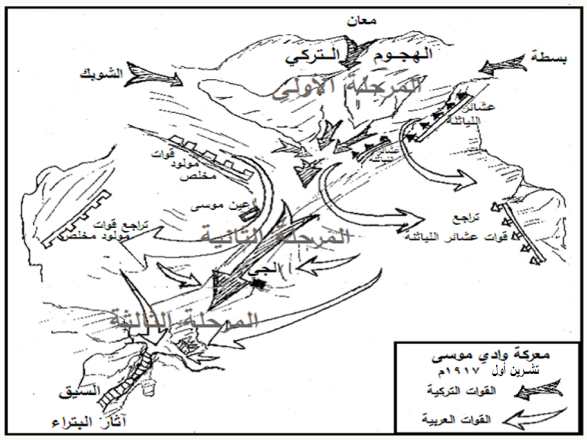

الشكل رقم (٢)

مخطط معركة وادي موسى تشرين أول ١٩١٧م

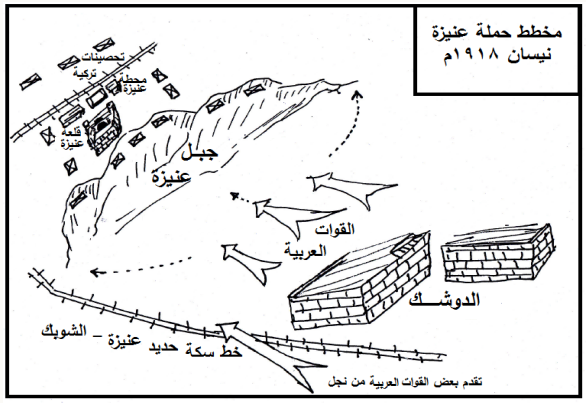

الشكل رقم (٣)

مخطط حملة عنيزة نيسان ١٩١٨م

الهَوامِشُ:

(١) الموسى، سليمان: **الحسين بن علي باعث النهضة العربية الحديثة**، وزارة الثقافة، عمان ١٩٨٩م، ص١٨. سيشار إليه لاحقًا: الموسى، الحسين بن علي.

(٢) الملك عبدالله بن الحسين: **الآثار الكاملة**، ط٢، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٩م، ص١١٦. سيشار إليه لاحقًا: الآثار الكاملة للملك عبد الله.

(٣) **الآثار الكاملة للملك عبدالله**، ص١٤١-١٤٢؛ الأسد، ناصر الدين: **النهضة العربية الكبرى (دراسات وأبحاث)**، دون مكان وتاريخ نشر، ص١٠٨ سيشار إليه لاحقًا: الأسد، النهضة العربية الكبرى.

(٤) محافظة، علي: **تاريخ الأردن المعاصر (عهد الإمارة ١٩٢١-١٩٤٦م)**، ط٢، مركز الكتب الحديث، عمان ١٩٨٩م، ص٨-٩. سيشار إليه لاحقًا: محافظة، تاريخ الأردن المعاصر.

(٥) **عنيزة**: قرية صغيرة تقع على الطريق الصحراوي على بعد حوالي ٣٦ كيلو متر شمال معان، تضم محطة سكة حديد وقلعة عثمانية. انظر: الخريطة الشكل رقم (١).

(٦) **الهيشة**: غابة بمنطقة الشوبك، قطع الأتراك معظم أشجارها خلال الحرب العالمية الأولى لتكون وقودًا للقطارات. انظر: الماضي، منيب؛ الموسى، سليمان: **تاريخ الأردن في القرن العشرين**، ط١، عمان ١٩٥٩م، ص٣٠. سيشار إليه لاحقًا: الماضي، تاريخ الأردن.

(٧) الماضي، **تاريخ الأردن**، ص٣٠.

(٨) **دلاغة**: قرية صغيرة تقع على بعد ٢٥ كيلو متر جنوب غرب وادي موسى وتتبع له إداريًا. انظر: الخريطة الشكل رقم (١).

(٩) تسمى قبيلة الحويطات بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها حويط بن جماز الحسيني، وتقع منازلها في القسم الجنوبي من الأردن، ومن أشهر عشائرها التوايهة والجازي والنجادات. انظر: بيك، فردريك .ج: **تاريخ شرقي الأردن وقبائلها**، تعريب: بهاء الدين طوقان، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٣٥، ص٢٢٨-٢٣٣. سيشار إليه لاحقًا: بيك، تاريخ شرقي الأردن.

(١٠) **النعيمات**: عشيرة تقيم في منطقة الشراة، وتتوزع على عدة قرى أهمها إيل والفرذخ وبسطة، استشهد من رجالها في الثورة سليمان أبو شتال، وهويمل بن عوض، وسالم سودي النعيمات. انظر: الموسى، سليمان: **الثورة العربية الكبرى – الحرب في الأردن ١٩١٧-١٩١٨م – مذكرات الأمير زيد**، عمان ١٩٧٥م، ص٢٠٨. سيشار إليه لاحقًا: مذكرات الأمير زيد.

(١١) اللياثنة: هو الاسم الذي يعرف به أهالي وادي موسى، وهم ينقسمون إلى أربعة عشائر هي: الشرور وبني عطا والعلايا والعبيدية، وقد انحاز اللياثنة مبكرًا للثورة العربية وكان لهم دور كبير في تحرير وادي موسى والشوبك من الأتراك.

(١٢) يُقصد بهم هنا عشائر الشوبك، وهي تتكون من الملاحيم والغنميين والشقيرات والطورة واللواما والهباهية والرفايعة.

(١٣): **غدير الحاج**: هي أول محطة لسكة الحديد إلى الجنوب من معان على بعد ١٧ كلم منها. انظر: المجالي، بكر خازر: المسارات العسكرية للثورة العربية الكبرى في الأرض الأردنية، جامعة الحين بن طلال، معان ٢٠٠٣م، ص١٤٩. سيشار إليه لاحقًا: المجالي، المسارات العسكرية.

(١٤): **أبو اللسن**: قرية صغيرة تقع إلى الجنوب من معان على مسافة ٢٨ كيلو متر، وتتبع إداريًا إلى قضاء المريغة. وصفها "علي جودت" أحد قادة الثورة العربية بقوله: "أبا اللسن رابية جميلة .. في موقع جبلي منيع يبعد عن معان سبع ساعات .. وهي اسم زاهر في تاريخ ثورة العرب بفضل ما ارتوت به جنباتها من دم البطولة والشرف". انظر: جودت، علي: **ذكريات**، ط١، مطابع الوفاء، بيروت ١٩٦٧م، ص٥٠. سيشار إليه لاحقًا: جودت، ذكريات.

(١٥) **الرولة**: هي من أكبر قبائل عنزة وأشهرها على الإطلاق، هاجرت من نجد واصطدمت مع بعض قبائل الشمال مثل بني صخر واستطاعت التغلب عليها وتوغلت حتى الأراضي السورية وامتدت حدودها من تمياء والجوف جنوبًا حتى أطراف دمشق شمالاً، أما بنو صخر فقد هاجروا من الحجاز واستقروا في منطقة البلقاء. انظر: بيك، **تاريخ شرقي الأردن**، ص١٦٨، ٢١٩، ٢٣٥.

(١٦) **عوده بن حرب أبو تايه الحويطي**، ولد حوالي عام ١٨٧٠م، وقد اشتهر بالشجاعة والفروسية والرجولة منذ مطلع شبابه، وعندما زحف جيش الثورة العربية الكبرى تجاه العقبة ومعان انضم إليهم وقاتل معهم فلمع اسمه، وقيل تزوج ٢٨ مرة، وكانت وفاته عام ١٩٢٤م ودفن في عمان. انظر: الزركلي، خير الدين: **الأعلام** "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، ٨ أجزاء، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢م، ج٥، ص٩٣-٩٤. سيشار إليه لاحقًا: الزركلي، الأعلام؛ الموسى، سليمان: **صور من البطولة**، ط٢، وزارة الثقافة، عمان ١٩٨٨م، ص٧٥-٩٤. سيشار إليه لاحقًا: الموسى، صور من البطولة.

(١٧) **توماس إدوارد لورنس**، ولد عام ١٨٨٨م، وتخرج من جامعة أكسفورد، واشتغل مدة في سوريا باحثًا عن الآثار، ثم عمل موظفًا في الاستخبارات البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى، ورافق جيوش الثورة العربية الزاحفة من الحجاز إلى الشمال لقتال العثمانيين، وتوفي في لندن عام ١٩٣٥م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص٩٣.

(١٨): لورنس، ت.أ: **أعمدة الحكمة السبعة**، ط٤، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠م، ص١٥١. سيشار إليه لاحقًا: لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**.

(١٩) **الشريف ناصر بن علي بن الحسين** بن فهد بن راضي، من الأشراف الحسينيين الذين يطلق عليهم لقب "السادة"، ولد في المدينة المنورة عام ١٨٩٠م ونشأ فيها، وفي عام ١٩١٦م التحق بجيوش الثورة وكان موفقًا في معظم حملاته، توفي في بغداد عام ١٩٣٤م. انظر: الموسى، صور من البطولة، ص٤١-٥٨.

(٢٠) الموسى، سليمان: **الحركة العربية (سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩٢٤)**، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٠م، ص٣٠١. سيشار إليه لاحقًا: الموسى، الحركة العربية.

(٢١) الموسى، سليمان: **المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م (الثورة العربية الكبرى)**، مجلدان، ط١، عمان ١٩٧٣م، مج١، ص١٠٣-١٠٤. سيشار إليه لاحقًا: المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م.

(٢٢) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص١٥٧.

(٢٣) الموسى، **صور من البطولة**، ص٨٢.

(٢٤) **رضا الركابي (١٨٦٦-١٩٤٢م)**: ولد وتوفي بدمشق، وقد تولى مناصب عسكرية عديدة في الجيش التركي، ولما دخل الجيش العربي دمشق عام ١٩١٨م، عين حاكمًا عسكريًا ثم رئيسًا للوزراء، وكان أكرم رضا الركابي قد كذب في مقابلة خاصة ادعاء لورنس بأنه قابل والده في دمشق في حزيران ١٩١٧م، بينما يؤكد انطونيوس اللقاء، ويقول أن لورنس سلم الركابي رسالة يحملها له من الأمير فيصل يوم ١٣ حزيران. انظر: قاسمية، خيريه، **الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دون مكان وتاريخ نشر، ص٣٢. سيشار إليه لاحقًا: قاسمية، **الحكومة العربية**؛ انطونيوس، جورج: **يقظة العرب**، ط٦، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م، ص٣٢٢. سيشار إليه لاحقًا: انطونيوس، يقظة العرب.

(٢٥) **الجفر**: تقع إلى الشرق من معان على بعد ٦٠ كلم، وفيها تقيم عشيرة التوايهة التي ينتسب لها عوده أبو تايه.

(٢٦) **الدمانية**: إحدى عشائر الحويطات، وهم من أبناء جعيل بن علون بن حويط، والدمانية من الدمنة، والتي تعني المكان الذي يسكب فيه القهوة، مما يدل على جود وكرم هذه العشيرة، وهناك من يقول إن عشيرة الدمانية تتبع الحويطات لكنها في الأصل فرع من عشيرة بني عطية. انظر: الدماني، **قصة وقصيدة**، جريدة الدستور، العدد ١٥٧٣٩، السبت ٧ أيار ٢٠١١م؛ بيك، **تاريخ شرقي الأردن**، ص٢٣٣.

(٢٧) الدنجتون، ريتشارد: **لورانس في البلاد العربية**، ترجمة: محمود عزت موسى، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٦م، ص١٨٨. سيشار إليه لاحقًا: الدنجتون، **لورانس في البلاد العربية**؛ الماضي، تاريخ الأردن، ص٣٧.

(٢٨): لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص١٩٧.

(٢٩) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص١٩٨-١٩٩؛ الموسى، **صور من البطولة**، ص٨٣.

(٣٠) طلاس، مصطفى: **الثورة العربية الكبرى**، منشورات مجلة الفكر العسكري، دمشق ١٩٧٨م، ص٣٧٦. سيشار إليه لاحقًا: طلاس، الثورة العربية الكبرى؛ الموسى، **الحركة العربية**، ص٣٠٢؛ الدنجتون، **لورانس في البلاد العربية**، ص١٨٨-١٨٩، انطونيوس، **يقظة العرب**، ص٣٢٣.

(٣١) لورنس، ت.أ: **الثورة العربية**، ط٢، تعريب: شعبان بركات، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م، ص٧١. سيشار إليه لاحقًا: لورنس، الثورة العربية.

(٣٢) **المريغة**: تقع إلى الجنوب من معان على بعد حوالي ٢٥ كيلو متر. انظر: الخريطة الشكل رقم (١).

(٣٣) **أوهيدة**: قرية صغيرة تقع إلى الجنوب الغربي من معان على بعد ١٧ كلم، ويوجد بها نبع ماء غزير. انظر: الخريطة الشكل رقم (١).

(٣٤) الماضي، **تاريخ الأردن**، ص٣٩.

(٣٥) تولى الإشراف على البعثة الفرنسية القائد بيزاني، في حين خضعت البعثة الإنجليزية لقيادة الرائد جويس الذي كان يمثل الجنرال اللنبي. انظر: الروسان، ممدوح عارف، **مسيرة الثورة العربية على الساحة الأردنية** (تموز ١٩١٧-أيلول ١٩١٨م)، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان ١٩٩٤م، ص١٣-١٤. سيشار إليه لاحقًا: الروسان، **مسيرة الثورة العربية**.

(٣٦) نخص مولود مخلص بالتعريف به هنا من بين جميع القادة العسكريين النظاميين العرب، نظرًا للبطولات التي أظهرها في معارك معان، فهو مولود بن أحمد بن رجب بن شهاب التكريتي، أما اسم (مخلص) فهو لقب منحه إياه الشريف الحسين بن علي لشجاعته في معظم معارك الثورة، وقد ولد عام ١٨٨٥م في مدينة الموصل، وبعد تخرجه من الكلية الحربية في استانبول عام ١٩١٠م، عين ضابطًا في الجيش التركي السادس المرابط في العراق، ولما قامت الثورة العربية التحق بالجيش الشمالي وظل يقاتل حتى إصابته في معارك معان، وقد تقلد بعد ذلك عدة مناصب سياسية وعسكرية في العراق، وتوفي عام ١٩٥١م ودفن في تكريت. انظر: الزبيدي، محمد حسين: **مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وفي تاريخ العراق المعاصر ١٨٨٥-١٩٥١م**، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة. آفاق عربية، بغداد ١٩٨٦م، ص١١-٢٤. سيشار إليه لاحقًا: الزبيدي، مولود مخلص باشا؛ الموسى، **صور من البطولة**، ص١٢٥-١٤٢.

(٣٧) العمري، صبحي: **أوراق الثورة العربية الكبرى(١)**، المعارك الأولى- الطريق إلى دمشق، ط١، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٩١، ص١٣٥-١٣٦. سيشار إليه لاحقًا: العمري، المعارك الأولى؛ الزبيدي، **مولود مخلص باشا**، ص٩١-٩٢.

(٣٨) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٢٣٣.

(٣٩) التكريتي، سليم طه: **مولود مخلص بطل معركة وادي موسى في الثورة العربية الكبرى**، دون مكان نشر، ١٩٩٠م، ص٢٩. سيشار إليه لاحقًا: التكريتي، مولود مخلص؛ لورنس، **الثورة العربية**، ص٩٦.

(٤٠) لورنس، **الثورة العربية**، ص٩٦.

(٤١) **بسطة**: هي إحدى قرى النعيمات، تقع إلى الشرق من معان على بعد حوالي ٢٠ كيلو متر. انظر: الخريطة الشكل رقم (١).

(٤٢) طلاس، **الثورة العربية الكبرى**، ص٣٨٢.

(٤٣) **الشريف عبد المعين**: هو أحد الأشراف الذين تولوا قيادة المتطوعين من القرويين والبدو في الجيش الشمالي، وخاصةً في منطقتي وادي موسى والشوبك.

(٤٤) الموسى، سليمان: **لورنس والعرب وجهة نظر عربية**، ط٣، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان ٢٠١٠م، ص١٨٢. سيشار إليه لاحقًا: الموسى، لورنس والعرب؛ طلاس، الثورة العربية الكبرى، ص٣٨٢-٣٨٣.

(٤٥) الماضي، **تاريخ الأردن**، ص٤٥.

(٤٦) هو ميرزا باشا وصفي، هاجر من بلاد القفقاس للدولة العثمانية عام ١٨٦٤م، والتحق بالخدمة العسكرية عام ١٨٧٦م، وفي عام ١٩١٣م عين قائدًا عامًا لقوة الفرسان المتطوعين في الأردن لحفظ النظام، ثم مع قيام الحرب العالمية الثانية عين قائدًا للمتطوعين الشراكسة في الأردن للقتال إلى جانب القوات العثمانية. انظر: حغندوقة، محمد خير: **ميرزا باشا وصفي (كتاب وثائقي)**، الجمعية العلمية الملكية، عمان ١٩٨٦م، ص١٥-١٦، ٣١-٣٤، ٩٤. سيشار إليه لاحقًا: حغندوقة، ميرزا باشا.

(٤٧) الزبيدي، **مولود مخلص باشا**، ص٩٢.

(٤٨) تقع بلدة الطيبة إلى الجنوب من وادي موسى على بعد ١٠ كلم، وتقطنها عشيرة الشرور أحد فروع عشيرة اللياثنة، أما الراجف فتقع إلى الجنوب من بلدة الطيبة على بعد حوالي ٨ كلم، وتقطنها عشيرة الرواجفة.

(٤٩) الدنجتون، **لورانس في البلاد العربية**، ص٢٠٣.

(٥٠) المجالي، **المدارات العسكرية**، ص١٤٩؛ أبو ديه، سعد: معان "**دراسة في الموقع**"، ط١، ١٩٨١م، ص١٤٨. سيشار إليه لاحقًا: أبو ديه، معان.

(٥١) أبو داهود، يوسف جميل: **الثورة والنفي (قراءة في فكر الشريف حسين بن علي)**، ط١، وزارة الثقافة، عمان ١٩٩٢م، ص١٤٨. سيشار إليه لاحقًا: أبو داهود، الثورة والنفي؛ طلاس، **الثورة العربية الكبرى**، ص٣٨٣؛ الموسى، لورنس والعرب، ص١٨٤.

(٥٢) التكريتي، **مولود مخلص**، ص٣١؛ الدنجتون، **لورانس في البلاد العربية**، ص٢٠٣.

(٥٣) الماضي، **تاريخ الأردن**، ص٤٥.

(٥٤) الزبيدي، **مولود مخلص باشا**، ص٩٣.

(٥٥) السعيد، نوري: **مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦-١٩١٨م**، ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت ١٩٨٧م، ص٦٣. سيشار إليه لاحقًا: السعيد، **مذكرات نوري السعيد**.

(٥٦) العجلوني، محمد علي، **ذكرياتي عن الثورة العربية الكبرى**، منشورات مكتبة الحرية، عمان ١٩٥٦م، ص٣٤-٣٥. سيشار إليه لاحقًا: العجلوني، ذكرياتي عن الثورة.

(٥٧) الموسى، **الحركة العربية**، ص٣٠٥-٣٠٦؛ الزبيدي، **مولود مخلص باشا**، ص٩٣؛ السعيد، **مذكرات نوري السعيد**، ص٦٣.

(٥٨) عليمات، محمد عليان، **مسائل في الثورة العربية الكبرى**، المطابع العسكرية، عمان ١٩٩٦م، ص٧٨-٧٩. سيشار إليه لاحقًا: عليمات، مسائل في الثورة.

(٥٩) الموسى، **لورنس والعرب**، ص١٨٤.

(٦٠) السعيد، **مذكرات نوري السعيد**، ص٦٣؛ عليمات، **مسائل في الثورة**، ص٧٩.

(٦١) التكريتي، **مولود مخلص**، ص٣٠.

(٦٢) الموسى، **صور من البطولة**، ص١٣٤؛ التكريتي، **مولود مخلص**، ص٣١؛ الروسان، **مسيرة الثورة العربية**، ص١٥-١٦.

(٦٣) السعيد، **مذكرات نوري السعيد**، ص٦٣.

(٦٤) الدنجتون، **لورانس في البلاد العربية**، ص٢٠٣.

(٦٥) العسكري، جعفر بن آية الله: **مذكرات جعفر العسكري**، تحقيق وتقديم: نجدة فتحي صفوة، دار اللام للنشر، لندن ١٩٨٨م، ص١٢٠-١٢١. سيشار إليه لاحقًا: العسكري، مذكرات.

(٦٦) التكريتي، **مولود مخلص**، ص٣٣-٣٤.

(٦٧) الموسى، لورنس والعرب، ص١٨٥-١٨٦؛ الزبيدي، **مولود مخلص باشا**، ص٩٨-٩٩.

(٦٨) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٣٠٩.

(٦٩) **مذكرات الأمير زيد**، ص١٩.

(٧٠) **المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م**، ص١٦٢.

(٧١) لورنس، **الثورة العربية**، ص135.

(٧٢) **قلعة الشوبك**: وهي قلعة حصينة تقع في مكان متوسط بين عمان والعقبة والبحر الأحمر، بناها الملك الصليبي بلدوين الأول عام ٥٠٩هـ/١١١٥م. انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله البغدادي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م): **معجم البلدان**، ٥ أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩م، جـ٣، ص٣٧٠. سيشار إليه فيما بعد: ياقوت الحموي، معجم البلدان. وكان الأتراك قد أعادوا ترميمها واتخذوا منها حصنًا وسجنًا ومركزًا لحاميتهم في الشوبك.

(٧٣) العمري، المعارك الأولى، ص١٥٦؛ الروسان، **مسيرة الثورة العربية**، ص١٨.

(٧٤) **مذكرات الأمير زيد**، ص٥٥.

(٧٥) انظر: الخريطة الشكل رقم (١).

(٧٦) العمري، **المعارك الأولى**، ص١٨٣-١٨٥.

(٧٧) **المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م**، ص170-169.

(٧٨) **المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م**، ص170؛ الموسى، **لورنس والعرب**، ص٢٠٨.

(٧٩) الرشدان، وائل: **القلاع العثمانية في جنوب الأردن: دراسة معمارية وصفية**، مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، العدد (١)، المجلد (٢٤)، السنة ٢٠٠٨م، ص١٤٨. سيشار إليه لاحقًا: الرشدان، القلاع العثمانية.

(٨٠) سعيد، أمين: **الثورة العربية الكبرى**، ٣ مجلدات، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٣٤م، مج١، ص٢٣٢. سيشار إليه لاحقًا: سعيد، الثورة العربية الكبرى.

(٨١) الزبيدي، **مولود مخلص باشا**، ص١١٣.
(٨٢) العمري، **المعارك الأولى**، ص205.
(٨٣) العجلوني، **ذكرياتي عن الثورة**، ص٥٧-٥٨.
(٨٤) انظر: الخريطة الشكل رقم (١).
(٨٥) الرشدان، **القلاع العثمانية**؛ ص١٣٩-١٤٠؛ الحصان، عبد القادر محمود: **القلاع والخانات التركية العثمانية على طريق الحاج الشامية في الديار الأردنية**، ط١، وزارة الثقافة، عمان ٢٠٠٦م، ص١٦١. سيشار إليه لاحقًا: الحصان، القلاع والخانات التركية.
(٨٦) العمري، **المعارك الأولى**، ص٢٠٠.
(٨٧) انظر تفاصيل هذه الحملة: العمري، **المعارك الأولى**، ص٢٠٠-٢٠٢؛ كركبرايد، اليك: النهضة العربية(١)، ترجمة سليمان الموسى، منشور ضمن كتاب الثورة العربية الكبرى – الحرب في الأردن ١٩١٧-١٩١٨م – **مذكرات الأمير زيد**، عمان ١٩٧٥م، ص١٤٤. سيشار إليه لاحقًا: كركبرايد، النهضة العربية.
(٨٨) العمري، **المعارك الأولى**، ص٢٠٨.
(٨٩) أبو داهود، **الثورة والنفي**، ص١٤٥؛ الماضي، **تاريخ الأردن**، ص٤٢.
(٩٠) العجلوني، **ذكرياتي عن الثورة**، ص٥٦-٥٧.
(٩١) السعيد، **مذكرات نوري السعيد**، ص٦٩.
(٩٢) **مذكرات الأمير زيد**، ص٨٨-٨٩.
(٩٣) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٣١٦-٣٢١.
(٩٤) قباعة، رزق هارون: **معان المدينة والمحافظة ماضيها وحاضرها**، ط٢، ١٩٨٣م، ص٦٠. سيشار إليه لاحقًا: قباعة، معان؛ الماضي، **تاريخ الأردن**، ص٦١.
(٩٥) العمري، **المعارك الأولى**، ص٢٠٩-٢١٠؛ العجلوني، **ذكرياتي عن الثورة**، ص٥٩-٦٠؛ المجالي، **المسارات العسكرية**، ص١٩٨-١٩٩. ويروي أمين سعيد أن عدد القوات العشائرية كان يزيد على ٤٠٠٠ مقاتل. انظر: سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، مج١، ص٢٢٦.
(٩٦) العمري، **المعارك الأولى**، ص٢١٠-٢١١؛ العجلوني، **ذكرياتي عن الثورة**، ص٥٩؛ السعيد، **مذكرات نوري السعيد**، ص٦٩.
(٩٧) العجلوني، **ذكرياتي عن الثورة**، ص٥٩؛ قباعة، معان، ص٦٠.
(٩٨) العمري، **المعارك الأولى**، ص٢١٢.
(٩٩) **المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م**، ص١٩٠.
(١٠٠) سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، مج١، ص٢٢٥.
(١٠١) المجالي، **المسارات العسكرية**، ص٢٦٤.
(١٠٢) الزبيدي، **مولود مخلص باشا**، ص١١٦.
(١٠٣) العمري، **المعارك الأولى**، ص٢١٥؛ العجلوني، **ذكرياتي عن الثورة**، ص٦٠.
(١٠٤) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٣٢٥؛ **المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م**، ص١٩٠.
(١٠٥) السعيد، **مذكرات نوري السعيد**، ص٦٩؛ الموسى، **صور من البطولة**، ص١٣٧.
(١٠٦) العسكري، مذكرات، ص١٣٠؛ السعيد، **مذكرات نوري السعيد**، ص٧٠-٧١؛ الزبيدي، **مولود مخلص باشا**، ص١١٩.
(١٠٧) **مذكرات الأمير زيد**، ص١٩٤.
(١٠٨) **مذكرات الأمير زيد**، ص١٩٤.
(١٠٩) **مذكرات الأمير زيد**، ص١٩٤.
(١١٠) العجلوني، **ذكرياتي عن الثورة**، ص٦١.
(١١١) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٣٢٦؛ العمري، **المعارك الأولى**، ص٢٢٠-٢٢١.
(١١٢) السعيد، **مذكرات نوري السعيد**، ص٧٢.
(١١٣) العجلوني، **ذكرياتي عن الثورة**، ص٦٢.
(١١٤) **مذكرات الأمير زيد**، ص١٩٥.
(١١٥) **المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م**، ص٢٠٤.
(١١٦) العمري، **المعارك الأولى**، ص٢٢٩.
(١١٧) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٣٢٧.
(١١٨) المجالي، **المسارات العسكرية**، ص٢٤٣.
(١١٩) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٢٣٠؛ انطونيوس، يقظة العرب، ص٣٣٤؛ الموسى، **لورنس والعرب**، ص٢٣٣-٢٣٤.
(١٢٠) السعيد، **مذكرات نوري السعيد**، ص٧٤؛ العجلوني، ذكرياتي عن الثورة، ص٦٣؛ **مذكرات الأمير زيد**، ص٩٥.
(١٢١) السعيد، **مذكرات نوري السعيد**، ص٧٦.
(١٢٢) العمري، **المعارك الأولى**، ص٢٤١-٢٤٢.
(١٢٣) **مذكرات الأمير زيد**، ص٩٦-٩٧؛ **لورنس والعرب**، ص٢٤٠.
(١٢٤) السعيد، **مذكرات نوري السعيد**، ص٧٨.
(١٢٥) العمري، **المعارك الأولى**، ص٢٤٥.
(١٢٦) **مذكرات الأمير زيد**، ص١٢٠-١٢٢.
(١٢٧) سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، ص٢٢٩؛ العمري، **المعارك الأولى**، ص٢٦٠.
(١٢٨) كركبرايد، **النهضة العربية**، ص١٥٣-١٥٤؛ يونج، هيوبرت: **العربي المستقل**(١)، ترجمة: سليمان الموسى، منشور ضمن كتاب الثورة العربية الكبرى – الحرب في الأردن ١٩١٧-١٩١٨م – **مذكرات الأمير زيد**، عمان ١٩٧٥م، ص١٨٢-١٨٣. سيشار إليه لاحقًا: يونج، **العربي المستقل**؛ جودت، **ذكريات**، ص٤٨-٤٩.
(١٢٩) سعيد، الثورة **العربية الكبرى**، مج١، ص٢٢٩.
(١٣٠) **أذرح**: تقع إلى الغرب من معان على بعد ٢٢ كلم، والى الجنوب الشرقي من الشوبك على بعد ٢٨ كلم، وبينها وبين الجرباء ميل واحد، وفيها جرت أحدث التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. أنظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، جـ١، ص١٢٩-١٣٠.
(١٣١) الشريف مستور والشريف علي بن عريد: من الأشراف الذين تحملوا مسؤوليات قيادة قوات المتطوعين في الجيش الشمالي، وكانوا يأتون بعد الأمير فيصل والأمير زيد في قيادة الحملات. انظر: **مذكرات الأمير زيد**، ص٢٠٧.
(١٣٢) **مذكرات الأمير زيد**، ص١٠٧، ١٢٨.
(١٣٣) **مذكرات الأمير زيد**، ص١٢٨.